بحث

الأركياتروس *Archiatros*

والممارسات الطبية في كتابات جريجوري التو ري

اعداد

أ.م.د/ خالد عبدالبديع رضوان محمود

أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة

كلية الآداب – جامعة سوهاج

أ.م.د/ محمد مرسي عبد الله هديه

أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة

كلية الآداب – جامعة المنيا

مجلة التاريخ والمستقبل/ كلية الآداب / جامعة المنيا
J.H.F / Faculty of arts / Minia University
مجلد ٣٩/ عدد ٧٧/ يناير ٢٠٢٥
Vol.39/ No.77 January. 2025

الأركياتروس *Archiatros* والممارسات الطبية في كتابات جريجوري التوري

أ.م.د/ خالد عبدالبديع رضوان محمود
أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة
كلية الآداب – جامعة سوهاج

أ.م.د/ محمد مرسي عبد الله هديه
أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة
كلية الآداب – جامعة المنيا

مُلخص البحث:

تتناول هذه الدراسة صورة الطبيب الأركياتروس *Archiatros* في كتابات جريجوري التوري *Gregory of Tours*. وهو موضوع يُسلّط الضوء على لقب الأركياتروس كوظيفة من ناحية، وعلى الممارسات الطبية والعلاجات حسب منظور جريجوري من ناحية ثانية. ويُسلّط الضوء على قضية التشافي الروحاني من ناحية ثالثة. ولكي تُستوفى هذه الدراسة لم يقف الباحث عند كتابات جريجوري وحسب، بل راجع المصادر والآراء الأخرى المعاصرة له، فضلًا عن التي سبقته، وقارن بينها بحثًا عن إجابة سؤالين: ما الفارق بين الأركياتروس وبقية الأطباء؟ وما جدوى دراسة الطب في القرن السادس نظير التشافي الديني؟

الكلمات المفتاحية: جريجوري التوري– الأركياتروس – غالة – الطب – القديسين.

The *Archiatros* and Medical practices in the Writings of Gregory of Tours

Abstract: This study deals with the image of the physician Archiatros in the writings of the Gallic historian Gregory of Tours. This is a very important topic because it sheds light on the title of Archiatros as a function on the one hand, and on medical practices and treatments according to Gregory's perspective on the other hand. To produce this study in the best possible way, the researcher did not stop at Gregory's writings alone, but rather reviewed other contemporary sources and opinions, as well as those that preceded him, and compared them in search of answers to two questions: What is the difference between Archiatros and other physicians? What is the benefit of studying medicine in the sixth century in comparison to religious healing?

Keywords: Gregory of Tours - Archiatros - Gaul - Medicine – Saints.

مقدّمة:

تتناول هذه الدراسة موضوع الطبيب الأركياتروس *Archiatros* في كتابات جريجوري التوري Gregory of Tours (ت ٥٩٤م). وهو موضوع لم يُدرس بعد، باستثناء مقالة رصينة للمؤرخ الإنجليزي ففيان نَتون Nutton المتخصّص في تاريخ الطب، تناول فيها رحلة مصطلح الأركياتروس عبر العصور القديمة(١). في هذه المقالة، على قدر ما بيّن "نَتون" تطور مدلول اللفظ بداية من العصور الكلاسيكية، وكيف تناولته المواد القانونية، غير أنّه صوّب تركيزه أثناء تتبّع الكلمة على الشرق اليوناني، ثم أوربا الرومانية وصولًا إلى القرون الأولى من العصور الوسطى، ولم يُشر من قريب أو بعيد لواقع هذا اللقب في كتابات جريجوري. كما أنّ "نَتون" اقترح أن هذا اللفظ في القرن الخامس الميلادي أمسى يسع كل الأطباء دون تمييز(٢)، في حين أن روايات جريجوري- كما سوف نرى- أشارت إلى خلاف ذلك. و"نتون" اعتمد في حكمه على النقوش اليونانية في بلاد الشرق، فضلًا عن مصادر بيزنطية مثل بروكوبيوس القيصري Procopius of Caesarea (ت ٥٦٥م)، ولم يرجع إلى مصادر غربية إلا نادرًا. وقد صنع صنعه مثله عددٌ من أصحاب الدراسات التي تناولت الطبيب الملكي في العصور الكلاسيكية؛ مثل: جون سكاربورو Scarborough(٣)، وداريل أمندسن Amundsen مع جاري فيرنجرن Ferngren(٤)، وأيدو إزرايلويتش Israelowich(٥).

إشكاليات الدراسة:

تعود كلمة أركياتروس (أرخياتروس) إلى الأصل اليوناني *ἀρχίατρος*، وتعني في صورتها الأولى طبيب الملك أو طبيب البلاط Royal Physician(٦). على أن معناها اختلف بتعاقب الحقب، وبتطور النُظُم والقوانين؛ ففي الشرق القديم جاءت بمعنى طبيب رئيس Chief Doctor، وفي العصر الروماني أشارت مدونات القانون إلى صفته كطبيب بلاط، وميّزته عن بقية الأطباء الذين كان يُشار إليهم بلفظ *medici*(٧).

ثم جدَّ على صورة الأركياتري في مراسيم أباطرة العصور الوسطى الباكرة وقوانينهم بعض التغيير؛ فأعفاهم الإمبراطور قنسطنطين Constantin I (٣٠٦- ٣٣٧م) في مرسوم عام ٣٢٦م وممتلكاتهم من آداء الضرائب والالتزامات الخدمية العامة، وحذّر من أن يتعرّضوا للإهانة(٨). إن هذا المرسوم- وإن لم يُبيّن هل الأركياتري احتفظوا بصورتهم القديمة كأطباء بلاط- أرسى مكانة اجتماعية واقتصادية مهمة لهم، أقرّتها القوانين اللاحقة(٩). وهو ما شجّع ففيان نَتون Nutton على الظن أن اللفظ في هذه الحقبة ربّما عنى طائفة من الأطباء المتميّزين ماديًا واجتماعيًا(١٠). ثم رسم

مرسومٌ للإمبراطور فالنتنيان الأول Valentinian I (٣٦٤– ٣٧٥م) عام ٣٧٠م إطارًا وظيفيًا أكثر وضوحًا للأركياتري، حين جعلهم رؤساء مناطق في روما، ونظّم إجراءات تعيينهم(١١)، مما يعني أن اللفظ قد تلبّس أطباءً خارج نطاق البلاط الحاكم. وفي مرسوم للإمبراطور ثيودوسيوس الثاني Theodosius II (٤٠٨– ٤٥٠م) عام ٤٢٧م أمر بتوفير سُبُل الراحة لهم، وأضاف إليهم أطباء البلاط، مُسميًا إياهم "كونتات"، الذين تُصنّف وظيفتهم في القصر الإمبراطوري من الدرجة الأولى أو الثانية"*archiatros, quos in palatio nostro primi vel secundi ordinis comites*"(١٢). وقد ورد لقب كونت في مرسوم للإمبراطور زينون Zeno (٤٧٥– ٤٩١م)(١٣). وهو لقب ملفت، سوف يأتي الحديث عنه بعد قليل.

على أنّ أعباء الأركياتري وصلاحياتهم في المناطق التي رأسوها كانت غير واضحة. ولم يُدلِ ففيان نتّون برأي حاسم حول ذلك، فيما عدا تأكيده أن لقب أركياتروس لم يعد قاصرًا على أطباء البلاط(١٤). وهو حكم يمكن قبوله بالنظر إلى قرينة استقرأها مؤرخون محدثون من برديات مصرية ترجع إلى القرن السادس الميلادي، أفادت أن الأرخياتروس كان يرأس المستشفى(١٥).

يتّضح إذن أن استخدام لفظ أركياتروس لم يكن له إطار ثابت، بل استوعب تعديلات في مدلولاته باختلاف المكان والظروف والنُظُم(١٦). ودليل ذلك أن جريجوري التوري حين استخدم هذا اللقب، خصّ به ثلاثة أطباء معاصرين له وحسب، هم: ماريليف Marileif(١٧) وريوفاليس Reovalis(١٨) وأرمنتاريوس Armentarius(١٩). في الوقت الذي عمّم مسمى *medici* على من عداهم من أطباء في مجمل كتاباته. ولم يبيّن علة هذا التمييز، مما خلق أول إشكاليات ثلاث، واجهن الدراسة.

وأمّا الإشكالية الثانية، فتتعلّق بجريجوري نفسه بوصفه كاتبًا. فرغم أن مؤلفاته تنوعت بين التاريخ(٢٠)، وسير القديسين(٢١)، والإدارة(٢٢) والتنجيم والفلك(٢٣)، إلا أن المتأمّل لهذه المؤلفات يجد العاطفة الدينية كانت واضحة عند جريجوري؛ إذ خصّص نصفها تقريبًا للحديث عن معجزات آباء الأديرة وأعمالهم(٢٤). وقد التمس له بعض المؤرخين المحدثين العذر في أنّ تعليمه كان كنسيًّا(٢٥)، مما جعل منه رجلًا عابدًا، يخشى الوقوع في الخطيئة، أو الانحراف لصالح الشيطان، أكثر من كونه مؤرخًا أو فيلسوفًا(٢٦). كما أنّه ساير موجة التنصير في القرن السادس، وطوّع كتاباته إلى منظور ديني، مما جعل من رواياته هدفًا للنقد(٢٧)، سيّما تلك المتعلقة بأحداث سياسية، والتي ما برحت موثوقيتها موضع اتّهام(٢٨). ورغم أن البعض صنّف جريجوري أبًا لتاريخ الفرنجة(٢٩)، وعدّه

آخر ندًا لمعاصره بروكوبيوس القيصري Procopius of Caesarea[٣٠]، غير أن أحاديثه عن الأطباء وعن علاجات الأمراض كانت شديدة الإيجاز، وذلك مقارنة بحكاياته المتدفقة في الجانب الهجيوجرافي، التي غلبت عليها المبالغة والخيال الجارف، مما جعل من رواياته موضع نقدٍ وتمحيص، وجعل من تتبع موضوع الأركياتروس والطب عمومًا في كتاباته ليس بالأمر الهيّن.

وأمّا الإشكالية الثالثة فتتعلّق بدراسة الطب نفسه في العصور الوسطى المبكرة، الذي كُتب على جريجوري التعامل معه. فقد عاين في غالة طبًا عتيقًا، يفتقر إلى المؤسسات الحضرية القادرة على دعم التعليم العلماني في الطب كما في مجالات أخرى[٣١]. وكان ممارسو الطب هناك غامضين اجتماعيا مقارنة بنظرائهم في الشرق، الذين تدربوا في القسطنطينية أو في الإسكندرية. وليس في ذلك غرابة، لإن جُلّ المعالجين في غرب أوربا عادةً ما كانوا يتعلمون بأنفسهم أو يتدربون بشكل غير رسمي، أي أنّهم مارسوا طبًا شعبيًا[٣٢]. وقد اعتمد هؤلاء في غالة خلال ممارساتهم الطبية على رافدين رئيسين: الرافد الأول، بضع كتيبات أو ملخصات موجزة للممارسات العلاجية القديمة التي خلّفها الإغريقيان أبقراط وجالينوس، وحفظها عبر القرنين الخامس والسادس الميلاديين نفرٌ من أطباء ومفكري غرب أوربا[٣٣]. ورغم أن هذه الملخصات حوت معلومات عتيقة، لا تواكب التغيّرات التي شهدها الغرب الأوربي ديموغرافيًا وأنثروبولوجيًا، إلا أن كُتّاب الغرب الأوربي تمسّكوا بها بقوة، لدرجة أن أطباء بيزنطيين مشاهير، مثل: إيتيوس الأميدي Aetius of Amida (القرن السادس)[٣٤]، وألكسندر الترالي Alexander of Tralles (ت ٦٠٥م)[٣٥]، وبولس الإيجيني Paul of Aegina (٦٩٠م)[٣٦]، الذين يُسميهم ففيان نَتون Nutton ثلاجات الطب في بواكير العصور الوسطى[٣٧]، لم يكن لهم تأثيرٌ مقارنة بما أُثر عن جالينوس، الذي خيّم تراثه على الممارسات الطبية[٣٨]. وأمّا الرافد الثاني؛ فجاء من طقوس وتعاويذ ترجع إلى موروثات كلتية وثنية[٣٩]، والتي أفسحت مجالًا واسعًا للوصفات العلاجية المتوارثة اجتماعيًا، أو ما يُعرف بالطب الشعبي، وهو ما تأثر به جريجوري بشكل واضح في تناوله الموضوعات الطبية، كما سيرد ذكره.

لماذا قصر جريجوري مُسمّى الأركياتروس على أطباء ثلاثة دون غيرهم؟

تكمن الإجابة على هذا السؤال في تتبّع حالات هؤلاء الأطباء، كل حالة على حدة. ونبدأ بالطبيب ماريلييف الذي تناوله جريجوري في روايتين؛ عامي ٥٧٧م و٥٨٥م. وفي كليهما كانت معلومات جريجوري شحيحة جدًا، باستثناء أنّه خلط فيهما الحديث عن هذا الطبيب بالسياسة. في الرواية الأولى التي تناسب العام ٥٧٧م أشار إليه باللقب أركياتروس. ويُفهم من الرواية أن هذا

الطبيب كان مُقرّبًا من الملك الميروفنجي شيلبريك Chelperic (٥٦١– ٥٨٤م)، وهو الأمر الذي جرّ عليه المتاعب، يقول جريجوري: "**إن ميروفيتش** Merovech **الذي كان متمردًا آنئذٍ على والده الملك شيلبريك، أرسل رجاله ليعترضوا الأركياتروس ماريلييف، وهو في طريق عودته من حضرة الملك. وقد ضُرب ضربًا مبرّحًا، وعُرّي من ملابسه، بعد أن سُلب ما كان يحمل من ذهبٍ وفضة. ولجأ إلى كاتدرائية مدينة تور Tours، وهو يكاد يموت من شدة الوصب، فاستقبلته ومنحته ثيابًا جديدة، ومكّنته من بلوغ بيته في بواتييه Poitiers آمنًا معافى**"(٤٠).

ومما يُلاحظ على هذه الرواية، أن جريجوري لم يُفصّل الخلفية العلمية للطبيب ماريلييف، ولا المؤهلات التي منحته لقب أركياتروس. ولكن يبدو واضحًا أن هذا الطبيب اكتسب ثقة الملك شيلبريك، وربّما جعله طبيبه الخاص، مما أكسبه لقب أركياتروس، وفق المعايير التي سلف تقديمها، ومنها أن يكون طبيب بلاط. وهو ما أكّده– على أيّة حال– مترجمو تاريخ جريجوري، حين وصفوا ماريلييف بالطبيب الملكي Royal Physician(٤١)، رغم أن جريجوري لم يُشر إلى ذلك صراحة. ويُفاد من هذه الرواية أن ماريلييف كان ذو حظوة عند الملك شيلبريك، حيث منحه أموالًا لدى زيارته(٤٢). ويبدو أنّه استأنس برأيه في قضية تمرد ولده ميروفيتش، مما جعله عُرضة لكراهية هذا الأمير، ومن ثمَّ انتقامه.

وفي الرواية الثانية دفع جريجوري إلى ماريلييف بلقب جديد، وهو الطبيب الأول *primus medicorum* في بلاط الملك شيلبريك(٤٣). والواضح أن ماريلييف قد نال هذه الترقية في تاريخ غير محدد، قبل وفاة الملك شيلبريك التي جاءت عام ٥٨٤م. وقد تعرّض حسب رواية جريجوري لاعتداءين عام ٥٨٥م؛ في الاعتداء الأول تمت سرقته على يد دوق يُدعى جاراريك Gararic(٤٤). وفي الاعتداء الثاني: "**تعرّضت ممتلكاته إلى تفتيش دقيق، ثم جُرّد من كل شيء؛ الأموال والخيول، والأشياء الثمينة الأخرى، وجرى إخضاعه إلى سلطة الكنيسة**"(٤٥). ولم يُفسّر جريجوري سبب هذين الاعتداءين، ويبدو أنّهما كانا للسبب السياسي نفسه، وهو قرب ماريلييف من الملك شيلبريك. على أنّ اللقب الجديد، وهو الطبيب الأول الذي منحه إيّاه جريجوري، يحتاج وقفة.

كعادته، لم يُعلّل جريجوري سبب تسمية ماريلييف بالطبيب الأول. في الوقت الذي اعتمد مترجمو تاريخه لقب رئيس الأطباء Chief Physicians(٤٦)، وهو– كما يبدو واضحًا– بعيد عن لفظ جريجوري، ولم يُبيّن المترجمون سندهم في ذلك. وربّما اعتمدوا على أن هذه التسمية كانت ضمن مراحل تطور مدلولات الأركياتروس كطبيب بلاط، حسبما تقدّم شرحه، وكأنّهم أرادوا القول،

إن لفظ جريجوري جاء على غير مراده. ولا يرى الباحث خلاف ما ذهبوا إليه، بالنظر إلى ركاكة أسلوب جريجوري، ونقله السيء عن مؤثرات الشرق(٤٧).

ولم يُبيّن جريجوري ما هي المهام التي فرضها اللقب الجديد لماريلييف، ولكن نعرف من مُعاصر له وهو كاسيودوروس Cassiodorus (ت ٥٨٥م) أن لقبًا مشابهًا عُرف في بلاط ثيودوريك Theodoric ملك القوط الشرقيين (٤٩٣- ٥٢٦م)، حين منح طبيبه إلبيديوس Elpidius مُسمّى كونت (قومس) الأطباء *Comes Archiatrorum*(٤٨)، وهو اللقب الأقرب لما ورد في مرسوم ثيودوسيوس الثاني ٤٢٧م، سالف الذكر، عن كونتات القصر الأطباء(٤٩). وقد عدّد كاسيودوروس مهام هذا القومس كما يلي؛ الإشراف على عمل الأطباء الآخرين، وفض ما قد يقع بينهم من خلافات(٥٠). وأشار فضلًا عن ذلك إلى أعباء مدنية أوكلت إلى هذا القومس، منها بناء كنيسة، محل رواق حمام قديم في مدينة سبوليتو Spoleto(٥١).

هذه المهام وإن لم يُشر إليها جريجوري التوري، لا يُستبعد أنّها كانت من مقتضيات وظيفة رئيس أطباء البلاط في الممالك الجرمانية. كما أن مجرى الأحداث- حسبما سردها جريجوري- حول ماريلييف وقربه من الملك شيلبريك، وما نال من امتيازات أثارت حقد بعض أبناء هذا الملك وأدواقه، يدفع إلى قبول أنّ هذا الطبيب تحمّل أعباءً مشابهة للتي أوكلت إلى إلبيديوس.

على أنَّ الامتيازات التي حظي بها ماريلييف يبدو أنّها قد أثارت حنق جريجوري. وتُشير روايته إلى دوافع ثلاثة قد تُبرّر غضبه، أولًا: لأنّ هذا الطبيب كان من أصولٍ متواضعة، ولكنّ قربه من الملك شيلبريك رفعه إلى مصاف الأغنياء وأهل الحظوة، يقول جريجوري: "**كان والد ماريلييف يعمل في مطاحن الكنيسة، بينما إخوته وأبناء عمومته وأقاربه الآخرون كانوا يعملون في مخابز ومطابخ سادتهم**"(٥٢)، مما يشي بأنّ ارتقاء ماريلييف قد جرح لدى جريجوري- وهو الغال روماني- اعتزازه الأرستقراطي. وثانيًا: لا يُستبعد أن سخط جريجوري على ماريلييف كان نابعًا من كراهيته للملك شيلبريك، الذي لم ينل استحسانًا في كتاباته. فقد نقم عليه حين تعدّى على ممتلكات كنيسة القديس مارتن St. Martin(٥٣)، وشبّهه لأجل ذلك بحكّام طواغيت مثل: نيرون وهيرود(٥٤). فضلًا عن هذا، تناول سيرة فريدجونده Fredegundزوجة هذا الملك بكل ما هو مسيء(٥٥)، مما جعل منه هدفًا لكراهية كليهما. ويُفسّرُ هذا لماذا حابى جريجوري ميروفيتش، ابن الملك شيلبريك، وأسبغ عليه رعايته، أثناء إقامته في مدينة تور منفيًا عقب تمرده على والده(٥٦). وثالث الدوافع لمس عند جريجوري جانبًا أخلاقيًّا دينيًا، وهو أنّ ماريلييف، مقابل عمله في البلاط، لم يخدم قُصّاد

الكنيسة[٥٧]، في حين كان جريجوري يرجو من الطبيب بوجهٍ عام، أن يكون في خدمة الله والناس، لا أن ينصرف إلى الدنيا والأغنياء، وهذا يُفسّر إشارته بإخضاع ماريلييف إلى سلطة الكنيسة، إثر تعرّضه للاعتداءين الأخيرين حسب الرواية عاليه. كما يُفسّرُ حديثه المُغاير عن الأركياتروسيين الثاني والثالث، وهما ريوفاليس وأرمنتاريوس، وهو حديثٌ كان ودّيًا بشكل واضح.

ذكر جريجوري أنّ ريوفاليس درس الطب في القسطنطينية. ويُفهم من روايته أن هذا الطبيب كان حاذقًا وجرّاحًا بارعًا، إذ أجرى جراحة دقيقة لصبي حوّله على إثرها إلى فتاة، التي غدت راهبة بدير الصليب المقدس Holy Cross، بمدينة بواتييه[٥٨]. وقد نال ريوفاليس رضى جريجوري، فكال له المديح والتقريظ، وعدّه أهلًا للثقة الطبية. على أنّ هذا المديح لا يُستبعد أن رياء قد خالطه، لأن هذا الطبيب فضّل العمل في أديرة بواتييه، فحقق شرط جريجوري، وهو العمل في خدمة الرب والبشر[٥٩]. ولكنّ ما الذي جعله يُسميه أركياتروس؟ إن الإجابة تكمن في عمل ريوفاليس الديري، حيث تشي رواية جريجوري بأنّه أشرف على المضيفات الديرية ببواتييه[٦٠]، التي كانت تقوم بعمل المشافي، فتستقبل المرضى وتوّفر لهم الخدمات الطبية[٦١]. وبذلك يتّفق جريجوري في تسمية رئيس المشفى بالأركياتروس مع ما كان يجري في الشرق البيزنطي في القرن السادس الميلادي.

وأمّا أرمنتاريوس فكان ملازمًا لجريجوري في مدينة تور. وقد أشاد بدرايته في عمل العديد من الترياقات، ومحاولته تشخيص العلل. ورغم أن جريجوري لم يُفصح عن مصدر دراسة أرمنتاريوس الطبية، إلا أنّ تعليمه فيما يبدو كان جيّدًا، حيث حاول تطبيب جريجوري نفسه من مرض أصاب جهازه الهضمي[٦٢]. وأمّا حمله مُسمّى أركياتروس، فلا يجد الباحث له تفسيرًا غير أن أرمنتاريوس كان يُطبّب قُصّاد كنيسة مدينة تور وأديرتها، كونه مصاحبًا لجريجوري في أثناء خدمته الأسقفية. وبذلك يتشابه مع ريوفاليس في استحقاقه للقب أركياتروس من ناحية، ومن ناحية أخرى كونه التزم بمعايير جريجوري الأخلاقية في ممارسة الطب. فضلًا عن ذلك وبسبب شيوع اسم هذا الطبيب في عائلة جريجوري، ارتاب بعض المحدثين، مثل: ري فان دام Van Dam وإدوارد جيمس James في وجود قرابة بينهما، حتى أن اسمه يتشابه مع اسم والدة جريجوري "أرمنتاريا"[٦٣]. مما يدفع بسببٍ آخر يستدعي محاباة جريجوري لهذا الطبيب.

وبناء على ما سبق، يتبيّن أن جريجوري حين أراد أن يمنح لقب أركياتروس، اختص به صنفين من الأطباء؛ طبيب بلاط وآخر يُشرف على مضيفات الأديرة. وهو بذلك لم يخرج عن الإطار العام للمفهوم الوظيفي للأركياتروس، كما عُرف في الشرق، وتطوّر في القرون الأولى من العصور

الوسطى. ولكنّ كيف كان تصوّر جريجوري لبقية الأطباء أو المعالجين؟ إن معالجة الإشكاليتين الثانية والثالثة تتكفّلُ بإجابة هذا السؤال.

الممارسات الطبية في منظور جريجوري بين التشافي الروحاني والطب الدنيوي.

بدايةً، أطلق جريجوري التوري لفظ *medicos* على من امتهن الطب في المدن الميروفنجية، مثل: تور Tours[٦٤]، ولانجر Langres[٦٥]، وفيين Vienne[٦٦]. وفضلًا عن هؤلاء تحدّث عن يهودي، اشتغل بفصد الدم في مدينة بورج Bourges[٦٧]. على أنّ تقييمه لعمل هؤلاء تداخل مع تفسيره الخاص لمسببات الأمراض وعلاجاتها. وهو تفسير لم يتم على أساس مخطط عقلاني، ولكن في المقام الأول على أساس أنثروبولوجي ديني[٦٨]، مما جعله يقتنع أن الأمراض تنبع من الخطيئة، وليست لدواعٍ طبيعية أو بيئية. ولذلك حين تحدّث عن امرأة لم تتمكّن من حضور احتفال القديس مارتن St. Martin عام ٥٧٦م بسبب أنّها كفيفة، أرجع ذلك إلى خطاياها[٦٩]. وحكى عن رجل أصيب بالخرس بسبب حلفه يمينًا كاذبة[٧٠]. وفي حالة ثالثة تحدّث عن رجل أصيب بالجذام وكاد أن يفقد بصره بسبب سرقته بعض محتويات كنيسة بمدينة تور[٧١].

يبدو جليًّا أن أفكار جريجوري كانت صدى للخلط الشديد في مخيلة المجتمع الغربي آنئذٍ في تفسير الأعراض الطبيعية والجسمانية، وعدم التفريق بين الطب والسحر[٧٢]. هذه المخيّلة فرضت حدودًا بين الدين والعلم والدجل والسحر واللاهوت، كانت واهية، لا تكاد العقلية الغربية في بواكير العصور الوسطى تُميّز بينها. وقد عدّها مؤرخٌ مثل برجرين هوردن Horden مربكة، ولم يعوّل عليها كثيرًا[٧٣]. وعلى هذا الاعتبار فالتمييز الذي قد يفرضه جريجوري بين طبيب مدني مدرّب، ومعالج شعبي لم يكن سهلًا. وفي هذا الشأن تُعلّقُ جوليا سميث Smith أن الفروق بين الأطباء المحترفين المدربين على الطب الموروث من الكتب، وممارسي العلاجات الشعبية، والقديسين، والمتلاعبين بالطقوس الكنسية لأغراض علاجية، والممارسات التقليدية مثل التمائم والتعاويذ والأدعية، كانت فروقٌ غير واضحة[٧٤]. وكانت غالة في هذا الجانب موطن التعاويذ والطلاسم السحرية، وقد اختلط فيها الطب الشعبي بموروثات دينية، بعضها كان وثنيًّا[٧٥]، وجريجوري نفسه لم يتورّع عن استخدام تعويذة لمعالجة والده من الحمّى ومرض النقرس[٧٦]. على أن هذا الأمر من جانبٍ آخر أفسح مجالًا رحبًا إلى العلاج الروحاني؛ فالمريض كان يُعرض عن الأدوية ما لم تكن مصحوبة بنصائح روحانية[٧٧].

وقد أرسى بعض آباء الأديرة في غالة القرن السادس مبدأ الارتكاز على التطبيب الروحاني بوصفه بديلًا للطب الدنيوي؛ فأعلن قيصر الآرلي Caesarius of Arles (ت ٥٤٢م) أن العلاج الروحي الذي يخلّص نفس المؤمن من شقائها إنّما يجيء من المسيح، الطبيب الحقيقي، الطبيب الوحيد، الأركياتروس الحقيقي" *verus medicus, solus medicus, verus archiater, ipse et medicus et medicamentum*"[٧٨]. وعدّ قيصر هذا العلاج الذي يُقدّمُ مجانا من خلال الكهان والأساقفة، أهم من العلاج الجسدي الذي يُقدمه أطباء دنيويون، لا تعنيهم سوى الهدايا وجمع المال[٧٩].

وعلى غرار قيصر، جاء جريجوري مبشرًا للطب الروحاني؛ فأكّد أنّه بلا نزاع أسمى وأنفع من الطب البشري. ومضى يطرح علاجات نفسية وإيمانية خلاف الإطار المادي الذي تفرضه أحكام العقل أو العلاجات العلمية؛ مثل لمس مذبح الكنيسة التي تُقام على عظام القديسين، واستخدام الشموع التي تُوقد عند قبورهم. وشُرب الماء الذي يُستخدم لغسل المذبح، ولمس الأشياء التي يُعرف أن القديس الميت قد لمسها.

من ذلك، فضّل جريجوري القديسين بوصفهم مصدرًا موثوقًا للعلاج الذي لا يشفي الجسد من أسقامه وحسب، بل يُنقذ الروح من آثامها وزلّاتها. وعليه أصبح الطب عند جريجوري يمس الإيمان نفسه. يقول: "**يبدو لي أن الأمراض تُشفى بقوة القديس، تمامًا كما تنقذ صلواته الآخرين من الوقوع في الزلل، وتكبح فساد غير المؤمنين. فمجد القديس واضح في كلتا الحالتين: فهو يعيد الصحة للمرضى حتى لا يعانون ثانية، وهو ينصح المجدفين بسلوك الطريق القويم لكي يتجنبوا الإدانة في محكمة السماء**"[٨٠]. وقد جادل بيتر براون Brown وجاك لو جوف Le Goff في هذه الناحية، بأن القديسين في بواكير العصور الوسطى، أمسوا حراسًا أخلاقيين للعقيدة. وأنّهم ما أن توزعوا على أقاليم الدولة الميروفنجية، بات كل واحد منهم مسؤولًا عن منطقته، وسبيلًا لخلاص رعيته روحانيًا، وأيضًا ملاذًا لعلاج أسقامهم بمقتضى ما أُثر عن هذا القديس من معجزات[٨١].

مع هذه القناعة رفض جريجوري التشكيك في قدرة القديسين، الذين عدّهم "أصدقاء الرب"، *amici dei*، ووسطاء بين الرب والبشر[٨٢]. ولم يتردد في نعت يهودي من مدينة بوردو Bordeaux بـ "**ثعبان عجوز**" لأنّه حاول أن يُثني رجلًا محمومًا عن التوسل إلى القديس مارتن على أمل شفائه، رغم أن حجّة اليهودي كانت جديرة بالتفكير، حيث تساءل: "**كيف نرجو العون من شخص يمكث تحت التراب، وقد تحلّل جسده؟**"[٨٣].

ورغم أن باتريك جيري Geary وجّه ملاحظات لاذعة حول سير القديسين، زاعمًا أن الكُتّاب– أمثال جريجوري– جسدوا عقلية جماعية حريصة على تقديم صورة حالمة عن آباء المسيحية في الغرب الأوربي(٨٤). كما انتقد جون أوزوالت Oswalt – شأنه في ذلك شأن جيري– الروايات المتوارثة عن القديسين، محذّرًا من الاعتماد عليها، لأنّها لا تمنح كمالية للصورة العامة عن مجتمع غرب أوربا، بل تُسبّبُ تفاصيلها إلى حدٍ كبير ثُغرات في السياق التاريخي العام(٨٥). رغم ذلك، لم تعدم سير القديسين من يدافع عنها؛ فيردّ راندي ريتشاردسون Richardson هذه الانتقادات بقوله إن استخدام شكل من أشكال التسلسل الزمني للأعمال الإعجازية للقديسين، يغري القارئ باعتبار هذه الأعمال "تاريخية" على الرغم من أن غرضها مختلف تمامًا. والهدف هو إظهار قوة الله وعمله من خلال أداته المختارة، أي القديس، ما يعني أن سير القديسين يمكنها في النهاية أن تقدم حقائق ورؤى تاريخية(٨٦).

ثُم إن تقديس الأموات أفضى بطبيعة الحال إلى تقديس أضرحتهم، وهو أمر ناقشه بيتر براون Brown وجوليا سميث Smith باستفاضة، حيث وضعا أيديهما على تطور تقديس الشهداء المسيحيين في الحقبة الوثنية، وكيف شهد القرنان الرابع والخامس بناء الأضرحة لهؤلاء الشهداء، التي غدت أكثر قداسة من أصحابها(٨٧). والمُلفت أن براون شبّه هذه القبور– حسبما تراءت في المخيّلة المسيحية– بنوافذ مضيئة فيما بين الأرض والسماء، حيث تنقل اللمسات الإلهية لعلاج الأجساد والأرواح(٨٨). ويُعلّقُ أن تقديس الموتى في بواكير العصور الوسطى كان شكلاً من أشكال التقوى المعدّلة بطريقة رائعة لتمكين البشر من النقاش حول طبيعة السلطة في عالمهم الخاص، وفحص العلاقة بين السلطة والرحمة والعدالة كما تمارس من حولهم(٨٩).

إن هذه الآراء التي تبدو تبريرية إلى حدٍ كبير، تعكس مدى تغلغل تأثير القديسين ورفاتهم Relics في الخيال المجتمعي(٩٠)، وتُظهر قدراتهم على شفاء العلل، حتى النفسية منها. وهو أمرٌ يُعزى تأصيله إلى كُتّاب سبقوا جريجوري التوري؛ فهذا جيروم Jerome يقول: "**لا أستطيع أن أكون في معية أضرحة الشهداء، وأنا تحت وطأة الغضب أو تراودني فكرة سيئة أو يزعجني خيال شرير. لا أجرؤ على ذلك، وأظل أرتجف جسديًا وروحيًا**"(٩١). وكتب رجل دين في القرن السادس: "**عندما أتواجد في مكان قرب رفات الشهداء القديسين، أشعر بالحاجة إلى تكريمهم. وكلما مررت أمامهم، أشعر بأنني يجب أن أحني رأسي**"(٩٢). وجريجوري بدوره اقتدى بهؤلاء، فأعلن: "**يتوجب علينا إظهار الاحترام اللائق لهؤلاء القديسين، وألا نتوقف عن التماس العلاج منهم. إنّهم كما**

يغفرون خطايانا ويصرفون عنا العذاب الأخروي، يخففون الحمى، ويُطهرون قروح الجذام، ويُشفون الأمراض الخطيرة"[٩٣]. واختص جريجوري القديس مارتن بثنائه، جاعلًا منه شافيًا لكل أسقام البشر؛ فأكّد أن مسح الرأس في الستارة المُعلّقة على قبر هذا القديس كفيل بعلاج الصداع[٩٤]، وأن لعق قضبان السياج المحيط بقبره، يُشفي أمراض الفم[٩٥]. وأن قطعة خشب من شجرة حظيت بلمسة من مارتن تُذهب وجع الأسنان حال مضغها[٩٦]. وأن الحضور في رحابه، والإيمان بقدرته العلاجية يشفيان المس الشيطاني، الذي كان يُشخّصه البعض على أنّه الصّرَع[٩٧]. ثم أوكل إليه علاج كافة الأمراض[٩٨].

وعلى هذا الأساس، جزم جريجوري بقدرة القديسين على علاج الأدواء التالية: وجع الأسنان[٩٩]، الحمّى[١٠٠]، والاستسقاء[١٠١]، والزحار[١٠٢]، وحصوات المثانة[١٠٣]، والطفوح الجلدية[١٠٤]، والعرج[١٠٥]، والنقرس[١٠٦]. بل وزعم أن ثوبًا لمس الصليب المقدّس شفا إثني عشر ممسوسًا وثلاثة عميان وفردين مشلولين وأخرس[١٠٧]. وفوق ذلك حمد جريجوري لقديسي غالة أنّهم أوقفوا- كلٌ في مدينته- طاعون القرن السادس، الذي ظلّت موجاته تترى طيلة قرنين من الزمان[١٠٨]، وأكّد أن بقية مياه من غُسل قبر القديس مارتن شفت امرأة من هذا الوباء[١٠٩]. وفي كل هذه الأمثلة يجب الاعتراف أن جريجوري لم يستخدم المبالغة السردية على سبيل التشويق، ولكنّه حاول تعضيد هدفه في إثبات قدرة القديسين العلاجية بقصص ما انفكت بسيطة، تُخاطب عقول العامة وتراود أفئدتهم[١١٠].

إن اقتناع الذهنية المجتمعية في غرب أوربا بقدرة القديسين على علاج المرضى كان – ولا شك- أمرًا شائكًا ومحيّرًا. وقد حاول عدد من المحدثين التوفيق بين العلم والخيال في هذا الشأن؛ فذكر الطبيب باتريك لانوت Lanotte أن بعض الأمراض الطارئة قد لا تحتاج إلى تدخل طبي، وأن المريض مع تغذية جيدة، وراحة نفسية وجسدية في مكان دافئ نسبيًا، قد يُشفى. فإذا تزامن ذلك مع زيارة أضرحة القديسين شاع بين الناس أن ذلك إنما تم ببركات هؤلاء، وهو مما يدعم القناعة العامة بقدراتهم التطبيبية[١١١]. وجادل ميشيل روش Rouche في الاتجاه نفسه، مؤكّدًا أن معجزات القديسين في ضوء روايات المصادر والسير الهجيوجرافية قد تكفّلت بعلاج ٧٣٪ من الحالات المرضية، مما أدّى تدريجيًا إلى استبعاد الأطباء الدنيويين من المشهد العام في غرب أوربا[١١٢]. والحقيقة أن هذه النزعة غلبت على الذهنية المجتمعية هنالك منذ العصور الوسطى الباكرة، وظلّت فاعلة لغاية القرن الحادي عشر على الأقل[١١٣].

على أن المريض إذا لم يبرأ بقدرة القديس، فإن جريجوري كان يُعلّلُ ذلك بأفعال البشر أنفسهم وآثامهم. فهو يروي عن أحد كونتات بريتاني Brittany: "**أنّه كان يشكو من آلام مبرحة بقدميه وأن الأطباء عجزوا عن علاجه، حتى أنفق عليهم ثروة طائلة. فأشار عليه أحد أتباعه أن يُحضر له إحدى الأواني الطقسية المستخدمة على مذبح كنيسة القديس مارتن، ليغسل فيها قدميه، موقنًا بالشفاء. وحين فعل الكونت ذلك، متجاهلًا حقيقة أن هذه الأواني لله وليست للبشر، جاءت النتيجة عكسيًا، إذ ازدادت آلامه إلى درجة لا تُطاق**"(١١٤). هنا برَّر جريجوري للمؤسسة الدينية عجزها الطبي، مؤكّدًا في الوقت نفسه فشل الطب البشري. وهو في كلتا الحالتين لم يُوضّح سبب علة الرجل، ولم يقترح حلًا علميًا لعلاجه.

وإذن قامت فرضية جريجوري عن الطب الروحاني بوصفة بديلًا للطب الدنيوي على أساس ديني أخلاقي. فهو يخصّ الكهنة بمديحه، عادًّا إياهم أطباء جديرين بالثقة، يقدمون الآراء والنصائح والعلاجات التي ينقلها إليهم القديسون. والكاهن – في نظره– موكل بعلاج البشر، لأن الخلاص الأخروي يأتي على يديه(١١٥). والطب الروحاني إذ تتجسد فيه الإرادة الإلهية فإنّه يُعنى بالمجتمع المسيحي ككل(١١٦). من هنا لم يعد المجتمع تدريجيًا يستنكر ممارسة رجل الدين للطب، بل عُد هذا الأمر واجبًا أخلاقيًّا متمّمًا لوظيفته الروحانية(١١٧)، "فرجل الدين هو أبو الفقراء"(١١٨). بل إن رعاية المريض كانت فريضة على كل مسيحي مؤمن(١١٩). وقد أوجبت مجامع كنسية، مثلما جرى في أورليان Orléans ٢٨ أكتوبر ٥٤٩م(١٢٠)، وفي ليون Lyon ٢٢ مايو ٥٨٣م(١٢١)، على جميع الأساقفة استقبال المجذومين ورعايتهم(١٢٢).

وهناك أمرٌ آخر حفّز جريجوري على تفضيل رجل الدين كممارس للطب، هو أن بعض قُرى غالة ما انفكت تمارس عاداتً وطقوسًا وثنية في التشافي، وذلك رغم الوثبات الواسعة التي قطعها العمل التنصيري، مما جعل الحاجة إلى كاهن يُصحح هذه المعتقدات، أكثر إلحاحًا من طبيب علماني(١٢٣). بل ويُؤكّد جريجوري أن القديسين في هذه الحالات أجدى وأنفع في تقديم العلاج، يقول: "**التمسوا رعاية الشهداء الذين من خلالهم تأتي المعجزات الشافية؛ التمسوا مساعدة المعترفين الذين يُدعون بجدارة أصدقاء الرب**"(١٢٤).

وكل هذا جعل من تقديس الشهداء المسيحيين وتعظيم أضرحتهم، ضرورة دينية؛ فلم يعد الناس يقصدون إلى روما كما كانوا في قديمهم، بل إلى المدن التي غدت مقارًا لأضرحة القديسين(١٢٥). ويُعلّق المؤرخ ففيان نَتون على ذلك بقوله: "إن الدين الجديد أراد أن يحل محل

العبادات القديمة في كل شيء، فأخذ المسيح مكان معبود الشفاء أسكليبيوس Asclepius، وغدت معابده كنائس. وبرزت أضرحة القديسين بوصفها بديلة للمزارات الوثنية، وأمسى الكُهان والشمامسة والرهبان بدلاء منطقيين للأطباء الدنيويين"[١٢٦].

حيال ذلك، عدّ جريجوري الأطباء المدنيين والمعالجين خصومًا طبيعيين للقديسين؛ فلم يُميّز بين طبيب وعرّاف ودجال، طالما مارس الطب خارج إطار الدين[١٢٧]. وكتب: "**إنني أحث الناس على عدم تصديق العرافين، لأنّهم لن يفيدوا المرضى أبدًا؛ فقليل من غبار ضريح القديس مارتن أقوى من هؤلاء الدجالين وأدويتهم الحمقاء**"[١٢٨]. وعليه لم يستبعد حين كانت تراوده الرغبة في الذهاب إلى الطبيب أو التماس علاج معروف كفصد الدم، أنّها وسوسة من الشيطان[١٢٩]، لأن إيمانه العميق ينبع من الشفاء الروحاني، الذي يأتي على يد القديسين والشهداء الأبرار.

على أنَّ جريجوري رُبّما أثار شيئًا من الارتباك أو الازدواجية؛ حين أورد في مؤلفاته أسماء بعض النباتات التي تنتج الأدوية، وتشخيصات بعض الأمراض، مظهرًا فيها تأثره بالأصل اليوناني بعد ترجمته إلى اللاتينية[١٣٠]. وأيضًا حين أبدى إعجابه ببعض الأطباء، مثل ريوفاليس وأرمنتاريوس سالفي الذكر. كما أنّه في رواية امتدح الأطباء الذين هرعوا لإنقاذ كاهن في دير القديس مارتن بمدينة تور، كان قد تعرض للضرب على يد المدعو إبيرولف Eberulf – خازن الملك شيلبريك– وكاد أن يفقد حياته[١٣١]. ولكن يُمكن رد إعجاب جريجوري بهؤلاء إلى مرجعية نفسية عاطفية، لأن كل حالاتهم جاءت في رواياته لبواعث دينية إنسانية.

وقد حاول داريل أمندسن Amundsen أن يُقدّم تفسيرًا توافقيًا للازدواجية التي قد تبدو في روايات جريجوري، وهو أن المسيحية في بواكير العصور الوسطى لم تكن معادية للطب المتوارث عن الإغريق، ولكنّ تمّت قولبته في إطار ديني[١٣٢]. والحق أن جريجوري قد ورث هذه القناعة من كُتّابٍ سابقين عليه، مثل: اللاهوتي نيلوس السيناوي Nilus of Sinai (ت ٤٣٠م) الذي أعلن أنَّ الطب الدنيوي يفشل في معرفة كنه الأمراض، "**في حين أن المسيح الذي هو طبيب النفوس، يعتني بأوجاعنا وآثامنا معًا**"[١٣٣]. وعن اللاهوتي ديادوخوس الفوتيكي Diadochos of Photiki (حوالي ٤٨٦م) الذي كتب: "**ليس هناك ما يمنعنا من استدعاء طبيب عندما نمرض. ولأن العناية الإلهية قد زرعت علاجات في الطبيعة، فقد أصبح من الممكن للبشرية أن تتطور في فن الطب. ومع ذلك، لا ينبغي لنا أن نضع أملنا في الشفاء على أيدي الأطباء، بل في مخلصنا وطبيبنا الحقيقي، يسوع المسيح**"[١٣٤]. وعن الطبيب أنتيموس Anthimus (ت ٥٢٥م) الذي أعلن: "**أن**

الصحة والعلاج هبتان من قبل الله، وأن الطبيب ما هو إلا مبعوث الرب، يُساعد على تنفيذ مشيئته"(١٣٥).

دون ذلك، كان يحلو لـ جريجوري أن يروي قصصًا عن فشل الأطباء في علاج آلام المرضى، وذلك في سبيل إثبات قدرة القديسين على شفائهم، حيث ينجحون من أين فشل الأطباء(١٣٦). وأشهر قصصه كانت عن أوستريجيلده Austregilde زوجة الملك الميروفنجي جونترام Gontram (٥٦١– ٥٩٢م) التي حضرتها الوفاة سنة ٥٧٨م بسبب الجُدري، ولكنّها كانت تُلقي باللائمة على الأطباء الذين فشلوا في علاجها(١٣٧). وأوصت زوجها بقتلهم وهي تُدلي بكلماتها الأخيرة: "**كان لدي أمل في الحياة، لو لم تسلبها مني جرعات خبيثة، منحنيها الأطباء الأشرار**". وبالفعل أمر الملك جونترام بقتل الطبيبين اللذين باشرا علاجها(١٣٨).

وربّما تشجّع جريجوري بفكرة توارثها الغرب الأوربي، هي أن الطب الدنيوي كان يمتُّ بصلة إلى الوثنيين والمثقفين الذين كانت عقيدتهم محل ريبة واتّهام(١٣٩). فأشهر أطباء القرنين الرابع والخامس الميلاديين، الذين يُعزى إليهم الفضل في تدريس مبادي أبقراط وجالينوس، كانوا وثنيين، أو على الأقل يتعاطفون مع الوثنية(١٤٠). ورغم أن أطباء في عصر جريجوري، مثل: إلبيديوس وأنتيموس، طبيبا ثيودوريك ملك القوط الشرقيين قد شُهد لهم بالكفاءة، حتى أن مهارة ألبيديوس ذاعت في إيطاليا وغالة معًا(١٤١)، وكان ثيودوريك يثق فيه لدرجة أنّه أسرَّ إليه وهو يجود بأنفاسه الأخيرة بندمه على قتل بؤثيوس وصهره سيماخوس، أي صهر بؤثيوس(١٤٢)، رغم ذلك فإن جهود هؤلاء الأطباء وشهرتهم، توارين أمام التوجه العام في الذهنية المجتمعية بالغرب الميروفنجي الذي يُعلي التداوي الروحاني على نظيره التجريبي.

ومع هذا يجب التأكيد على أنّ جريجوري اختص الأطباء الدنيويين أو الجشعين إن صح القول بعداوته. وفي هذا الصدد يُلفت فيان نَتون Nutton الانتباه إلى أنّ طائفة الأطباء في بواكير العصور الوسطى قد شهدت فصيلين متباينين؛ الفصيل الأول: أطباء البلاط الذين حازوا امتيازات اقتصادية واجتماعية واسعة وضعتهم في مصاف الأرستقراطيين. والفصيل الثاني: أطباء الطبقة الدنيا الذين كانوا يُجاهدون للحصول على أبسط الامتيازات التي تُؤهلهم لحياة كريمة، الأمر الذي خلق تيارين في نفس المجال، ولكن بينهما تمايز وبون شاسعين(١٤٣). وقد نال أطباء الفصيل الأول بطبيعة الحال نصيبهم الأوفر من كراهية العامة، الذين عدّوهم "دنيويين جشعين"، يسعون وراء المال

والجاه، ولا تعنيهم أرواح الفقراء[١٤٤]، وربّما تمنح حكاية ماريلييف التي سبقت على لسان جريجوري، مثالًا واضحًا على ذلك.

والحقيقة أنّ انتقاد الأطباء الأثرياء لم يقف على جريجوري، بل كان سمة غالبة على كُتّاب القرن السادس؛ فبروكوبيوس القيصري مثلًا غمز بطبيب يُدعى بيجازيوس Pegasius (من مدينة لاريبوس Laribus بإفريقية) أنّه تمكن من دفع فدية لابن أحد الأرستقراطيين خمسين قطعة صولدي، أي ما يُعادل راتب جندي مدة عشر سنوات تقريبًا[١٤٥]. وورد عن طبيب مصري يُدعى فويبأمون من أنطينوبوليس Phoebammon of Antinoopolis أنّه تقاضى سنة ٥٧٠م ستين صولدي من مستشفى بمدينة أنطينوبوليس[١٤٦]. وجاء في مصادر أخرى أن طبيبين أفريقيين كبيرين في الفترة نفسها تراوح دخليهما سنويًا بين سبعين إلى تسع وتسعين صولدي[١٤٧]. ومع ذلك، يرد المؤرخ ففيان نَتون حجة ثراء الأطباء بإشارته إلى أن أعلى دخل مما سبق– الذي عُدَّ كبيرًا بمقاييس القرن السادس– كان يوازي دخل محام أو مُعلم كبير، ولا يكاد يبلغ دخل إحدى الأسقفيات الذي تجاوز ثلاثمائة وستين صوليدي سنويًا[١٤٨].

بناءً عليه يُمكن القول إن ثراء الأطباء على هذا النحو وانصرافهم إلى خدمة الأغنياء قد منحا جريجوري باعثًا كافيًا لالتماس أدوية مجانية في مخلفات القديسين، التي كانت في منظوره أنجع من أدوية الأطباء، ولكنّها لا تشفي سوى المؤمنين. فمن علاجاته للمحمومين شرب مياه نبع، كائن قرب قبر القديس جوليان[١٤٩]. كما أنّه وصف تراب مقابر القديسين، بعد خلطه بالماء أو النبيذ، لعلاج الحمى ووجع الأسنان[١٥٠]. وضرب جريجوري المثل بنفسه حين أصابه الزحار مع آلام في المعدة وحُمّى. ولم تُجدِ معه وصفات الطبيب، ولم يُشفَ إلا بعد أن شرب ماءً مخلوطًا بتراب قبر القديس مارتن، حينها أقبل على الطعام بشهية مفتوحة[١٥١].

في هذا الصدد أثنى جريجوري على فاعلية تراب قبر القديس مارتن، فكتب: "**إنّه ترياق لا يوصف! بلسم لا يوصف! علاج جدير بالثناء! مُلين سماوي. هذا الغبار يتفوق على أعمال الأطباء، ويفوق الروائح الطيبة، وجميع المراهم. هو مثل السكامونيا Scammonia يُطهر المعدة، ومثل الزوفا Hyssop يجلي الرئتين، ومثل البيريثروم Pyrethrum يُعالج ألم الرأس. إنه يقوّم الأطراف المعوجة، ويخفف من تلك الشرور التي قد تصيب الضمير**"[١٥٢].

ليس هذا وحسب، بل واقتنع جريجوري أن تراب القديسين يُوفّر الحماية لحامله من قُطّاع الطرق والفيضانات والصقيع والحرائق. وقد ذكر أن والديه اعتادا حمل بقية من تراب ورفات

القديسين في ميدالية ذهبية، وتبادلا ارتداءها حول عنقيهما. وورثها هو عنهما مؤكّدًا أن هذه الميدالية وفرت الحماية له ولوالديه في عدة مناسبات(١٥٣).

ويُلاحظ أن جريجوري في سبيل إثبات حجّته عن قوة القديسين الشفائية ساق قصصًا خيالية، تتعلّق بأشخاص وأحداث سياسية، مثل: روايته عن إنقاذ رئيس شمامسة ليون ابنة الإمبراطور البيزنطي ليو الأول Leo I (٤٥٧- ٤٧٤م) من مسٍ شيطاني(١٥٤). ومثل إرسال بقية من أثر القديس مارتن إلى غاليسيا Galicia (جليقية) في قاصية شمال غرب إسبانيا، لعلاج ابن ملك غامض يُدعى شاراريك Chararic من مرض الجذام(١٥٥). ومثل ارتحال طيف القديس مارتن بعيدًا إلى مدينة رافنا Ravenna في شمال إيطاليا، لإنقاذ واليها من مرض خطير، بعد أن تخلى أطباؤه عنه(١٥٦).

وقد حاول رامزي ماكمولين Macmullen وإدوارد جيمس James تبرير توهمات جريجوري؛ فاقترحا أنّه رُبّما أراد بحكاياته عن معجزات القديسين إقناع بعض المتشككين في عصره الذين ما برحوا يرتابون في الحياة الآخرة، وجدوى الثواب والعقاب(١٥٧). ورأى جيمس في جريجوري رجلا ذكيًا، يراقب المجتمع من حوله بعين رجل دين ذي عقلية علمية.

لا بأس بهذا التحليل إذا اقتصر على الباعث الديني لروايات جريجوري، ولكن لا شك أن جيمس قد اشتط حين زعم أن علاجات جريجوري- مثل اقتراحه مزج التراب بالماء لعلاج الصداع- يُشبه استخدامنا الحديث لدواء الأسبرين(١٥٨). ويلتمس بيتر براون لجريجوري العذر في أنّه حين يعتز بمعجزات القديس مارتن، إنّما كان يرغب في دمج المجتمع في فلكٍ مسيحي أوسع، وهو منذ عقود خلت كان وثنيًا(١٥٩). ويُؤيّدُ كل من أفريل كيلي Keely وكاميل شودا Choda هذا الطرح، ويُضيفان الآريوسيين واليهود إلى المتشككين، مؤكّدين أن جريجوري في مواجهة هؤلاء اتّخذ من المعجزات سبيلًا لتعزيز الشعور بالهوية المسيحية في غالة القرن السادس الميلادي(١٦٠).

يمكن قبول هذه الآراء باعتبار ما شهد الغرب الأوربي قرنه السادس من تغلغل التنصير، وانحسار الوثنية. فضلًا عن التناحر السياسي والمذهبي بين الممالك الجرمانية، وما ترتب عليه من تصاعد شعور القومية. وفي الخضم فإنّه من الطبيعي أن يُضيف جريجوري التوري ونظراؤه من رجال الدين الآريوسيين والمتشككين واليهود إلى الوثنيين، وأن يعتبروهم جميعًا من غير المؤمنين(١٦١). وكان من الطبيعي أيضًا أن يعدُّ جريجوري هؤلاء جميعًا جبهة خطيرة تُهدّد الصورة المثالية للقديسين، وتُؤدّي إلى خلخلة قناعات المؤمنين في معجزاتهم الشفائية. ولذلك تحسّر على

رئيس شمامسة مدينة بورج الذي سبق وأن شفاه القديس مارتن من مرضٍ بعينيه(١٦٢)، ولكن بعد أن سمح ليهودي بفصد دمه، فقد بصره تمامًا. وعلّق قائلًا: "**كان هذا الرجل سيبقى سليمًا مُعافى لو لم يأت بيهودي لعلاجه. إذ هو بذلك خالف قول بولس الرسول: "لا تكونوا تحت نير غير المؤمنين، لأنّه لا توجد شراكة بين البر والإثم**"(١٦٣).

ثم أن جريجوري كان ابن عصر يرى أن الصبر على المرض هو مقياس اعتباري لقوة الإيمان(١٦٤). وأن الأمراض لا تعدو كونها ابتلاء إلهي لاختبار قوة المؤمن، والصبر عليها يُرضي الضمير المسيحي؛ لأن المؤمنين وهم يتصبّرون على الأوجاع والعلل، كانوا يستحضرون ذكرى القديسين الذين عانوا الآلام قبيل وفاتهم، ومن ثمّ يثقون في قدرتهم على شفائهم(١٦٥). وكل هذا يمنح مبررًا لنبذ الأطباء الدنيويين وتأهيل الذهنية المجتمعية إلى قبول آخرين، الذين كانوا شمامسة ورهبانًا، لم يُفسحوا مجالًا عقليًا واسعًا لدراسة كتب الطب، أو على أقصى تقدير فإن معلوماتهم التي استقوها من هذه الكتب كانت محدودة(١٦٦).

والمُلفت أن التغلغل الروحاني في الغرب الميروفنجي قد ترك أثره على الأطباء أنفسهم، وشجّعتهم الخرافات المجتمعية التي أفرزتها ثنائية الشيطان والملاك والثواب والعقاب(١٦٧)، على استخدام تعاويذ ونصوص طقسية في مؤلفاتهم بغرض العلاج؛ صنع ذلك ماركيللوس البوردوي(١٦٨)، وألبيديوس، طبيب ثيودوريك العظيم(١٦٩)، وإيتيوس الأميدي(١٧٠)، وألكسندر الترالي(١٧١). ولم يجد هؤلاء حرجًا بالنظر إلى أن التشخيصات في هذا العصر قامت على أسسٍ دينية؛ فالذي يذهب عقله أو يُصاب بالصرع إنّما هو ممسوس من الشيطان، وأن ذلك جاء نتيجة ارتكابه الخطيئة، التي هي بدورها تولدت عن تدنيس شيء يمت بصلة إلى الدين(١٧٢). والحقيقة أن آباء الكنيسة منذ القرن الثالث الميلادي، كان لهم أعظم الأثر في ترسيخ هذه الأفكار(١٧٣). ولم يجد بعض المحدثين بدًا من الإقرار بذلك، لاعتبارات علمية دينية؛ فأعلن جون كتشين Kitchen أن أطباء الفترة الباكرة من العصور الوسطى ما كانوا ليستطيعوا ممارسة الطب في وسط قناعة مجتمعية بقدرة القديسين العلاجية(١٧٤). واتّفق كل من برجرين هوردن Horden ودافيد ووتن Wootton على أن طب العصور الوسطى الباكرة كان رديئًا وغير فعال، وما قدّمه من أدوية كانت مجرد أشياء وهمية(١٧٥). وأيّد باتريك لانوت Lanotte هذين المؤرخين بقوله إن الطب بين القرنين الخامس والتاسع الميلاديين شهد ركودًا لأسباب دينية(١٧٦).

من هذا الباب، لم يكن غريبًا أن تُعالج معجزات القديسين علّات عُضال، مثل: الكُساح والعمى. وقد حاولت ألين روسيل Rousselle إيجاد مبرر لذلك بأن المريض حين يقصد إلى ضريح أو مزار ديني، فإنما هو نوع من العلاج النفسي، الذي يُعجّل بالشفاء، لأن المزار أو الضريح هو في حد ذاته مكان يُساعد على اتصال المريض بالرب(١٧٧). وقد لقي هذا التبرير استجابة عند برجرين هوردن Horden، فأعلن أن المريض في حالة عدم توفر طبيب، تكفيه هذه الضروريات الثلاث: عقل سعيد، وراحة، وغذاء معتدل(١٧٨). على أنّ هذه المبررات التي تلتمس العذر لأحكام جريجوري يجب القول أنّها جاءت متواضعة عن أفكارٍ أنتجتها العقلية اليونانية قرب العصر نفسه(١٧٩).

خاتمة

مما تقدّم يمكن القول إن تتبّع الطب والأطباء والعلاج في كتابات جريجوري التوري لم يكن بالأمر السهل، بسبب تأثره بالعاطفة الدينية من ناحية، وبسبب تراجع الدراسات العلمية عمومًا والطبية خصوصًا في الغرب الأوربي، بعامل من تزايد التنصير ومن تراكم الخرافات المجتمعية واختلاط الطقوس بمؤثرات وثنية من ناحية أخرى. من هذا المنطلق ساير جريجوري التوري الوعي الجمعي في غرب أوربا آنئذٍ، الذي غلبت عليها قناعات دينية تمامًا؛ فذهب يُؤيّد التشافي بقدرة القديسين ومخلفاتهم، وينتقد مقابل ذلك العلاج العلمي، أو كما كان يُسميه الطب الدنيوي.

ومع ذلك لفت جريجوري الانتباه برواياته إلى الأركياتروس، وأنّه كان دقيقًا حين أشار إلى ثلاثة فقط حملوا هذا اللقب في كتاباته، وذلك لم يُبيّنه المترجمون الذين نقلوا كتبه إلى اللغات الحديثة. وقد خلصت الدراسة إلى أنّ جريجوري حين منح هذا اللقب إلى الأطباء الثلاثة إنّما كان يعني ترتيبًا وظيفيًّا، أكثر منه مهنيًا، إذ توزع الثلاثة بين البلاط ومضيفات الأديرة، التي قامت مقام المشافي. وهو ما واكب التطور الزمني والظرفي للقب أركياتروس، بدءًا من العصور القديمة ووصولًا إلى القرن السادس الميلادي. كما أن جريجوري ميّز الأركياتري عن غيرهم من ممارسي الطب، سواء أكان طبيبًا عاديًا، أو مُعالجًا شعبيًا، وهؤلاء جميعًا منحهم مُسمّى طبيب *medicos*. وقد بدا واضحًا أن حكمه العام عليهم لم يكن حسنًا؛ فمضى يُضخّم فشلهم في العلاج، ولم يكن ذلك إلا لإبراز أهمية التداوي الروحاني.

أبرزت الدراسة بعض الروايات الخيالية التي ساقها جريجوري في سبيل إثبات حجته عن قدرة القديسين على العلاج. وكانت بعض الأدواء من الخطورة بمكان للدرجة التي تحتاج إلى تدخل جراحي مثل حصوات الكلى، أو تشخيص وعلاج علمي عقلاني لأمراضٍ خطيرة مثل الطاعون والجذام والجدري، ولكن جريجوري أصر على أن بقية من آثار القديسين كفيلة بعلاجها جميعًا. وهو في ذلك كان متأثرًا بكتابات السابقين عليه، الذين أفادوا من التيار التنصيري الجارف– بدءً من القرن الرابع الميلادي– ليُوجّهوا الغرب الأوربي بأجمعه وجهةً دينية.

الهوامش:

(1) Nutton, Vivian, "Archiatri and the Medical Profession in Antiquity", *Papers of the British School at Rome* 45 (1977), pp. 191- 226.

(2) Ibid, pp. 197- 198.

(3) See: "Romans and Physicians", *The Classical Journal* 65/7 (1970), pp. 296- 306.

(4)"The Forensic Role of Physicians in Roman Law", *Bulletin of the History of Medicine* 53/1 (1979), pp. 39- 56.

(5)"Physicians as Figures of Authority in the Roman Courts and the Attitude towards Mental Diseases in the Roman Courts during the High Empire", *História* 63/4 (2014), pp. 445- 462.

(6) Nutton, "Archiatri and the Medical Profession in Antiquity", pp. 193- 194.

(7) Ibid, pp. 193- 198; Israelowich, Physicians as Figures of Authority in the Roman Courts, pp. 455- 459.

(8)*The Theodosian Code and Novels: and the Sirmondian Constitutions* (*CTh*), trans. C. Phar et. al., Princeton University Press, 1952, 13, 3: 2.

(9) *CTh*, 13, 3: 15- 18.

(10) Nutton, "Archiatri and the Medical Profession in Antiquity", pp. 193- 198.

(11) *CTh*, 13, 3: 8.

(12)*CTh*, 13, 3: 18. أخذ اللفظ في القرون الرومانية الأولى معنى رفقاء أو أتباع الإمبراطور.

(13)*The Enactments of the Justinian Code*, ed. Scott, Cincinnati, 1932, vol. 3, 12, 13.

(14) See: Nutton, "Archiatri and the Medical Profession in Antiquity", pp. 197- 198; idem, "Continuity or Rediscovery? The City Physician in Classical Antiquity and Mediaeval Italy", in: A. Russell (ed.), *The Town and State Physician in Europe from the Middle Ages to the Enlightenment*, Wolfenbütteler, 1981, pp. 18- 19.

(١٥) ترأس الطبيب فويبأمون من أنطينوبوليس Phoebammon of Antinoopolis، مستشفى أنطينوبوليس (المنيا) في مصر عام ٥٧٠م، وكان لقبه أركياتروس. انظر: Corazza, Francesca, *The Antinoopolis Medical Papyri: A Case Study in Late Antique Medicine*, PHD diss., Humboldt University in Berlin, 2016, pp. 10- 11. Cf. Andorlini, Isabella, "Teaching Medicine in Late Antiquity: Methods, Texts and Contexts", in: P. Lendinara, L. Lazzari and M. D'Aronco (eds.), *Form and Content of Instruction in Anglo-Saxon England in the Light of Contemporary Manuscript Evidence*, Turnhout: Brepols, 2007, p. 413.

(16) See: Nutton, "Continuity or Rediscovery? p. 19.

(17) Grégoire de Tours, *Histoire des Francs*, trad. R. Latouche, Paris, 1963, 1, 5: 14.

(18)*Histoire des Francs*, trad. R. Latouche, Paris: Les Belles Lettres, 1965, 2, 10: 15; De Vita St. Radegundis, *MGH SS rer. Merov*. 2, lib. II, 14.

(19) Gregory of Tours, The Miracles of the Bishop St. Martin (G. V M), in: *Saints and Their Miracles in Late Antique Gaul*, trans. & ed. R. Van Dam, Princeton University Press, 1993, 2: 1.

(20) See: *Histoire des Francs*, trad. R. Latouche, Paris, 1963- 1965, 2 vols.

(21) See: Gregory of Tours, *Glory of the Martyrs*, trans. Ray Van Dam, 2nd ed. Liverpool: Liverpool University Press, 2004; *Glory of the Confessors*, trans. Ray Van Dam, 2nd ed. Liverpool: Liverpool University Press, 2004; Life of St. Hilary, Life of St. Julian, and Life of St. Martin, in: *Saints and Their Miracles in Late Antique Gaul*, trans. & ed. R. Van Dam, Princeton University Press, 1993; *Life of the Fathers*, trans. E. James, 2nd. ed., Liverpool: Liverpool University Press, 1991; *The Book of the Miracles of the Blessed Andrew the Apostle*, trans. Randy Richardson, Leuven, Paris, Bristol: Peeters, 2022; Greg. Latin Trans. From Syriac. *Passio sanctorum martyrum septem dormientium apud Ephesum.*

(22) See: In psalterii tractatum commentarius, *MGH SS rer. mer.,* 1: 2, Hannover, 1885, (fragments), pp. 873- 877.

(23)*De cursu stellarum, ratio qualiter ad officium implendum debeat observari, sive De cursibus ecclesiasticis,* Wrocław, 1853.

(24) See: Gregory of Tours, *Glory of the Confessors*, preface, pp. 1- 2.

(25) Heinzelmann, *Gregory of Tours*, pp. 36- 37; Kurth, *Etudes franques*, 1, pp. 11- 13; *The Book of the Miracles of the Blessed Andrew*, intro., pp. 11- 12, 14- 15. For more details about life and writings of Gregory, See: Wallace-Hadrill, J. M, "The Work of Gregory of Tours in the Light of Modern Research", *Transactions of the Royal Historical Society* 1 (1951), pp. 25- 45; Contreni, John, "Gregorius Turonensis", *Catalogus Translationum et Commentariorum* 9 (2011), pp. 55- 71

وللمزيد انظر: الجنزوري، علية عبد السميع، جريجورى التورى وقيام دولة الفرنجة، القاهرة، د. ت، ص ١٢– ٣١؛ عمران، محمود سعيد، المؤرخ جريجوري التوري وتأريخه للملك كلوفيس من خلال كتاب تاريخ الفرنجة، بيروت: جامعة بيروت، ١٩٨٠.

(26) See: Newbold, Ron, "Secondary Responses to Fear and Grief in Gregory of Tours", *Libri Historiarum,' Studia Humaniora Tartuensia* 7 (2006); Hailstone, Catherine-Rose, *Fear in Sixth-Century Merovingian Gaul: The Miracles of St. Martin and Life of the Fathers of Gregory of Tours*, MA. diss., University of York, 2015; idem, *Fear in the Mind and Works of Gregory of Tours*, PhD diss., University of York, 2020.

(27) See: The comments of Hilduin of Saint-Denis (d. 847) in: Epistolae variorum inde a morte Caroli magni usque ad divisionem imperii collectae, ed. E. Dümmler, *MGH. Epistilarum* 5: 3, p. 327 ff. Also: Reimitz, Helmut, "The Early Medieval Editions of Gregory of Tours' Histories", in: Alexander Murray (ed.), *A Companion to Gregory of Tours*, Leiden; Boston: Brill, 2016, pp. 522- 524.

(28) See: Gregory of Tours, *Glory of the Martyrs*, preface, p. xiv. For more details: Kurth, Godefroid, *Etudes franques*, Paris; Bruxelles, 1919, tome 2, pp. 117- 206; Smith, Adrian*, The 'Prehistory' of Gregory of Tours: An Analysis of Books I- IV of Gregory's Histories*, MA. diss., University of York (September 2010).

(29) James, Edward, "A Sense of Wonder: Gregory of Tours, Medicine, and Science", in: Marc Meyer (ed.), *The Culture of Christendom: Essays in Medieval History in Commemoration of Denis L.T. Bethell*, London: The Hambledon Press, 1993, p. 48; Noble, Thomas, "Gregory of Tours and the Roman Church", in: Kathleen Mitchell and Ian Wood (eds.), *The World of Gregory of Tours*, Leiden, Boston and Koln: Brill, 2002, p. 146. Cf. Heinzelmann, Martin, *Gregory of Tours: History and Society in the sixth Century*, Cambridge; New York: Cambridge University Press, 2001, pp. 36- 87.

(30) Goffart, Walter, "Foreigners in the Histories of Gregory of Tours", *Florilegium* 4/1 (1982), pp. 80- 99 esp. 85.

(31) Horden, Peregrine, "How Medicalised were Byzantine Hospitals?", in: *Hospitals and Healing from Antiquity to the Later Middle Ages*, London & New York: Routledge, 2016, pp. 46- 47.

(32) See: Horden, Peregrine, "What's Wrong with Early Medieval Medicine?" *Social History of Medicine* 24/1 (2011), pp. 19- 20.

(33) See: Wootton, David, *Bad Medicine: Doctors Doing Harm Since Hippocrates*, Oxford: Oxford University Press, 2006, 30- 31 ff.

من أشهر الأطباء الذين نقلوا ملخصات لتراث أبقراط وجالينوس: أوريبازيويس Oreibasiois (ت ٤٠٣م)، وأيتيوس Aëtius of Amida الأميدي (ت القرن السادس). انظر: Nótári, Tamás, "Physicians, Patients and Treatments in Early Medieval German (especially Bavarian) Legislation", *Fundamina - A Journal of Legal History* 23: 1 (2017), p. 65. وأما أهم الكتاب: بوئثيوس Boethius (ت٥٢٤م) وكاسيودوروس Cassiodorus (ت٥٨٣م) وإيزيدور الإشبيلي Isidore of Seville (ت٦٣٦م). انظر: Lanotte, Patrick, *Médecine, médecins et hospitalité dans le haut* moyen *âge: L'exemple de Reims. L'origine de l'Hôtel-Dieu de Reims au VIe siècle: mythe ou réalité?* PHD diss., Université de Reims, 1998, pp. 13- 14. For more details: Temkin, Owsei, *Hippocrates in a World of Pagans and Christians*, Baltimore and London: Johns Hopkins University Press, 1991, pp. 160- 170 ff.

(٣٤) وُلد إيتيوس في أميدا قرب دجلة بالعراق، ودرس الطب في الإسكندرية، وعاش في القسطنطينية ذائع الصيت، حتى عمل طبيبًا في بلاط جستنيان. ترك كتابًا في الطب بعنوان ستة عشر كتابا في الطب، تأثّر فيه بالسابقين من أطباء اليونان. ورغم أهميته في وصف العمليات الجراحية إلا أنّه يُعاب عليه أنّه ضمّنه الكثير من التعاويذ الدينية. انظر: Scarborough, "Theodora, Aetius of Amida, and Procopius: Some Possible Connections", pp. 742- 762 esp. 743- 748; Gowling, Eric, *Aetius of Amida. Libri Medicinales Book 1: A*, University of Glasgow, 2014, pp. x- xii.

(٣٥) ينتمي الإسكندر إلى عائلة مرموقة، ذاع صيتها في القسطنطينية. فوالده كان فيزيائيًا. وله إخوة بعضهم اشتغل بالطب، وبعضهم اشتغل بالمحاماة. وقد سافر الإسكندر إلى إيطاليا وغالة، ثم أقام في روما حتى وفاته في مطلع القرن السابع. وقد ترك كتابًا في الطب، بقيت منه فصولًا غير مُكتملة. انظر: Agathias, *Histoires*, 5, 6: 5. Also: Nutton, From Galen to Alexander, pp. 8- 9.

(٣٦) هو طبيب وجراح عاش في الإسكندرية، ويُعد موسوعة طبية. يظهر في كتابه المعروف بـ *Epitomae medicae libri septem* (المختصر الطبي في سبعة كتب) التأثر الواضح بجالينوس، ورغم ذلك كان له أعظم الأثر في الممارسات الطبية في أوربا العصور الوسطى بداية من القرن السابع. راجع:

Markatos, Konstantinos et al., "Paul of Aegina (625- 690): His Work and His Contribution to Neurologic Surgery: Trephinations and Laminectomies in the Dark Ages", *World Neurosurgery* 109 (2018), pp. 338- 341.

(37) See: "From Galen to Alexander, Aspects of Medicine and Medical Practice in Late Antiquity", *Dumbarton Oaks Papers* 38 (1984), p. 2. See: idem, *Ancient Medicine*, 3ed. London & New York: Routledge, 2024, pp. 238- 243ff.

(38) Baader, Gerhard, "Early Medieval Latin Adaptations of Byzantine Medicine in Western Europe", *Dumbarton Oaks Papers* 38 (1984), pp. 251- 259; Nutton, From Galen to Alexander, Aspects of Medicine, pp. 3- 4.

(39) Le Scouëzec, Gwenc'hlan, *La médecine en Gaule*, Genève: Arbre d'Or, 2001, pp. 22- 39; Nótári, Physicians, Patients and Treatment, p. 65.

(40) Gregori, *Historiae*, V: XIV.

(41) Trad. franç., R. Latouche, *Histoire des Francs*, tome 1, 5: 14; English trans., O. Dalton, *History of the Franks*, Oxford, 1927, vol. 2, 5: 14.

(42) Gregori, *Historiae*, V: XIV.

(43) Gregori, *Historiae*, VII: XXV.

(٤٤) تأتي المعلومات عن جاراريك من جريجوري التوري نفسه. ويُفهم أنّه كان من مناصري ملك أوستراسيا Austrasia شيلدبرت Childbert II (٥٧٥– ٥٩٦م)، ضد ملك أورليان Orléans جونترام Guntram (٥٦١– ٥٩٥م). وقد حاول ضم مدينة بواتييه لصالح شيلدبرت، ولكنّه لم يفلح، حيث قاومه أهل بواتييه. ويبدو أنّه انفرد هناك بالطبيب ماريلييف. انظر: Grégoire de Tours, *Histoire*, 2, 7: 13

(45) Ibid, 2, 7: 25.

(46) Trad. franç., R. Latouche, tome 2, 7: 25; English trans., O. Dalton, vol. 2, 7: 25.

(47) See: Gregori, *Historia*, praef; English trans., O. Dalton, vol. 2, preface, p. 2; *G. V M*, preface; Glory of the Confessors, intro. p. xviii. Also: Maltby, Robert, "Neologisms in the Latin of Gregory of Tours", *Archivum Latinitatis Medii Aevi* 63 (2005), pp. 61- 69.

(48)*The letters of Cassiodorus*, trans. Thomas Hodgkin, London, 1886, VI, form. 19. Cf. Procopius, *History of the Wars*, trans. H. Dewing, London & New York, 1919, vol. 3, Book. 5, 1: 38..٤٣ انظر الحروب القوطية، ترجمة: عفاف صبرة، ١/ ٤٢– ٤٣

(49)*CTh*, 13, 3: 18.

(50)*The letters of Cassiodorus*, VI, form. 19.

(51) Ibid, IV, no. 24.

(52)*"Servitium enim patris cius tale fucrat, ut molinas aeclesiasticas studeret, fratresque ac consubrini vel reliqui parents colinis dominicis "adque pistrino*

subiecti errant". See: Historiae VII: XXV; trad. franç. *Histoire des Francs*, tome 2, 7: 25; English trans., O. Dalton, *History of the Franks*, vol. 2, 7: 25.

(53) Grégoire de Tours, *Histoire des Francs*, tome 1, 5: 14, tome 2, 6: 10.

(54) Ibid, 2, 6: 46.

(55) Ibid, tome 1, 5: 12, 26, 29, 32; tome 2, 6: 32.

(56) Ibid, 1, 5: 14.

(57) See: James, A Sense of Wonder, p. 54 note 40.

(58) Gregori, *Historiae* X: XV. من المعروف أن الجراحة التي تحوّل الذكر إلى أنثى أو العكس عُرفت في أوربا العصور الوسطى إلى قرون متأخرة. للتفاصيل انظر: محمد، محمد دسوقي، "المُخنّثون في مجتمع الغرب الأوربي زمن العصور الوسطى"، *مجلة الدراسات التاريخية والحضارية* ٢/١٢ (٢٠٢٢)، ص ٣٨– ٧٠ خاصة ٤٧– ٥٠.

(59) Gregori, *Historiae* X: XV; De vita St. Radegundis, *MGH SS rer. Merov*. 2, lib. II, 14. Also: James, A Sense of Wonder, p. 54.

(60) Gregori, *Historiae* X: XV.

(61) Horden, *Hospitals and Healing from Antiquity to the Later Middle Ages*, p. 47. رغم أنّه ليس ثمّة تأكيد على مدى استفادة الأطباء من هذه المضيفات في تدريس علم الطب. انظر: Nutton, "From Galen to Alexander, Aspects of Medicine", p. 10. فقد بدأ الإسهام الحقيقي للأديرة في تطوير علم الطب منذ بواكير القرن الثامن الميلادي، حيث خُصّصت غرف الإسكربتوريا *Scriptoria*؛ لنسخ مؤلفاته وإلقاء محاضرات حوله: Mercier, Jean-François, "Du manuscrit à la lancette: évolution de la médecine monastique au moyen âge dans l'occident- progrès de la chirurgie entre le VIe et la fin du XVe siècle", *e-mémoires de l'académie nationale de Chirurgie* 11: 2, (2012), pp. 78- 87 esp. 79- 81.

(62)*G. V M*, 2: 1.

(63) Van Dam, *G. V M*, p. 92, note 46; James, A Sense of Wonder: Gregory of Tours, p. 57. Cf. Heinzelmann, *Gregory of Tours*, p. 19.

(64)*G. V M*, 2: 1.

(65) Ibid, 1, 5: 5.

(66)*G. V M*, 2: 18.

(67)*Histoire des Francs*, tome 1, 5: 6.

(68) Crisciani, Chiara, "Medicine and Philosophy in the Middle Ages. Sisters, Companions, Rivals", in: Mariacarla Bondio (ed.), *Medical Ethics: Premodern Negotiations between Medicine and Philosophy*, Stuttgart, 2014, p. 29.

(69) *G. V M*, 2: 28 يُعدّ مارتن (ت ٣٩٧م) أيقونة مدينة تور وأحد أبرز المبشرين بالمسيحية في القرن الرابع الميلادي. للتفاصيل عن حياته. راجع: Sulpitius Severus, Life of St. Martin, in *A Select Library of Nicene and Post- Nicene Fathers of Christian Church*, vol. 11; Idem, The Sacred History, in: Ibid.

(70) Gregory of Tours, *Glory of the Confessors*, 28.

(71) Gregory of Tours, *Glory of the Martyrs*, 58.

(72) See: Horden, Peregrine, "What's Wrong with Early Medieval Medicine?" *Social History of Medicine* 24:1 (2011), p. 8; Corazza, *The Antinoopolis Medical Papyri*, pp. 91- 93.

(73) Horden, "What's Wrong with Early Medieval Medicine? p. 16. Gregory gave many examples of charlatans who convinced people of their ability to heal. See: *Histoire des Francs*, II, 9: 6.

(74)*Europe after Rome: A New Cultural History 500- 1000*, Oxford & New York: Oxford University Press, 2005, p. 72

للمزيد. انظر: رمضان، عبد العزيز، "البيزنطيون بين علاج الأطباء ومعجزات القديسين: دراسة في ضوء هجيوجرافيا العصر البيزنطي الباكر"، *حولية التاريخ الإسلامي والوسيط* ٥ (٢٠٠٦)، ص ٣٣– ٩٨.

(75) Le Scouëzec, *La médecine en Gaule*, pp. 55- 56.

(76) Gregory of Tours, *Glory of the Confessors*, 39.

(77) Horden, *Hospitals and Healing from Antiquity*, pp. 50- 51.

(78) Caesarius of Arles, *Sermons*, trans. Marie Muller, New York: Fathers of the Church, inc., 1956, vol. 1, serm. 50: 1- 3. See: Amundsen, Medicine and Faith in Early Christianity, p. 331.

(79) Caesarius of Arles, *Sermons*, vol. 1, serm. 5: 5, pp. 36- 37.

(80) Gregory of Tours, The Suffering and Miracles of the Martyr St. Julian (G. V J), in: *Saints and Their Miracles in Late Antique Gaul*, trans. & ed. R. Van Dam, Princeton University Press, 1993, 13.

(81) Brown, *The Rise of Western Christendom Triumph and Diversity, 200- 1000*, 2nd ed. Oxford; Malden: Blackwell Publishing, 2003, p. 161; Le Goff, "Ecclesiastical Culture and Folklore in the Middle Ages: Saint Marcellus of Paris and the Dragon", in: *Time, Work, and Culture in the Middle Ages*, trans. A. Goldhammer, The University of Chicago Press, 1980, pp. 159- 188, esp. 160- 161.

(82) See: *Glory of the Martyrs*, 63; Van Dam, *Glory of the Confessors*, intro., p. xviii.

(83) Gregory of Tours, The Miracles of the Bishop St. Martin (G. V M), in: *Saints and Their Miracles in Late Antique Gaul*, trans. & ed. R. Van Dam, Princeton University Press, 1993, 3: 50.

لطالما أثار هذا الاستنكار العقلاني الجدل بين الكُتّاب منذ نهاية القرن الرابع الميلادي؛ فهذا يونابيوس الساردِيسي Eunapius of Sardis (ت ٤٢٠م) أبدى تعجّبه من حماسة المسيحيين تجاه الموتى، قائلًا: "**إنهم كانوا يجمعون عظام وجماجم أمواتٍ قضوا منذ سنوات خلت... ويُعظّمونهم... لقد أنشأوا يُعلون هؤلاء الموتى بوصفهم "شهداء" أو وزراء أو سفراء لدى الإله، يحملون إليه صلوات البشر**". انظر: Eunapius, *The Lives of the Sophists*, London; New York, 1922, p. 425 وهو الأمر الذي ردّه جيروم Jerome (ت ٤٢٠م) مخاطبًا المتشككين في قدسية الشهداء: "**إن جثتي بطرس وبولس مقدستين بالنسبة لنا، ولكن بالنسبة لكم هما مجرد كومتين من التراب**". انظر: Liber Contra Vigilantium, *P L*, ed. Migne, vol. 23, 8. cols. 361- 362 وتصدّى له

جريجوري النيسي Gregory of Nysse (ت ٣٩٤م) حين أوضح: "**أن الشهيد ليس بميّت، بل ينال الأبدية... ويحتضن المسيحيون قبره كما لو كان صاحبه جسدًا حيًّا في كامل ازدهاره، ويوجهون إليه صلواتهم الشفاعية**": De S. Theodoro martyre, *P G*, ed. Migne, vol. 46, col. 740 وعليه لم يكن غريبًا أن يُكتب على شاهد قبر القديس مارتنSt. Martin – مثار شغف جريجوري– في مدينة تور: "**هنا يرقد مارتن، ذو الذكرى المقدسة، الذي روحه في يد الله؛ لكنه موجود بيننا، حاضرٌ ويتجلى بوضوح في المعجزات من كل نوع**". Edmond Le Blant, *Les inscriptions chrétiennes de la Gaule antérieure au VIIe siècle*, Paris, 1856, tome 1, no. 178.

(84) Geary, Patrick, *Living with the Dead in the Middle Ages*, Ithaca and London: Cornell University Press, 1994, p. 18.

(85) Oswalt, John, *The Bible among the Myths: Unique Revelation or Just Ancient Literature?* Michigan: Zondervan, 2009, p. 138.

(86) Gregory of Tours, *The Book of the Miracles of the Blessed Andrew*, intro., p. 24.

(87) Brown, Peter, "The Holy and the Grave", in: *The Cult of the Saints: its Rise and Function in Latin Christianity*, Chicago: The University of Chicago Press, 1981, pp. 1-21; Smith, *Europe after Rome: A New Cultural History*, pp. 73- 74.

(88) Brown, "The Holy and the Grave", in: *The Cult of the Saints,* pp. 3- 4.

(89) Brown, "The Invisible Companion", in: *The Cult of the Saints*, p. 63.

(٩٠) للتفاصيل انظر: أبو سعدة، الأمين، التوظيف السياسي لرفات القديسين ومتعلقاتهم المقدسة في أوربا العصور الوسطى، *مجلة كلية الآداب–جامعة المنصورة*، عدد ٣٥ (٢٠٠٤)، ص ٤١٠– ٤١٢ وما بعدها؛ رمضان، "البيزنطيون بين علاج الأطباء ومعجزات القديسين، ٣٣– ٩٨.

(91) Liber Contra Vigilantium, 12, col. 364.

(92) Brown, "The Holy and the Grave", in: *The Cult of the Saints*, p. 10.

(93)*G. V M*, 4, intro.

(94)*G. V M*, 2: 60.

(95)*G. V M*, 4: 2.

(96) Gregory of Tours, *Glory of the Confessors*, 93.

(97)*G. V M*, 2: 18; 3: 37; *Glory of the Confessors*, 9.

ليس جريجوري وحسب من يؤكّد قدرة القديسين على شفاء الصرع. فمعاصره نكيتيوس التريفي Nicetius of Trier (ت حوالي ٥٦٦م) أوكل هذه المهمة إلى القديسين مارتن وجرمانوس Germanus وهيلاريوس Hilarius ولوبوس Lupus. انظر: Epistola II ad Chlodosuinda, reginam longobardorum, in: *sacrorum conciliorum nova et amplissima collectio*, ed. Mansi, vol. 9, cols. 771- 772. وكان إصرار الكُتّاب على وصف حالات الممسوسين وشفائهم في رحاب مقابر القديسين، برهان على رغبتهم في إظهار قوة الرب عبر هؤلاء القديسين. انظر: Brown, " Potentia", in: *The Cult of the Saints*, pp. 107- 108. Cf. Corazza, *The Antinoopolis Medical Papyri,* pp. 104- 106 ff.

(98)*G. V M*, 3, intro.

والمعروف أن سولبيسيوس سفيروس Sulpicius Severus (ت ٤٢٥م) أشهر وأهم من ترجم لـ مارتن، لم يذكر المعجزات الشفائية التي دوّنها جريجوري التوري، مما يجعل مصدر معلوماته مجهولًا، أو أنّها من نسج خياله. انظر: Sulpicius Severus' Life of Martin [Vita Martini] and Other Writings, trans. Alexander Roberts, in: Philip Schaff and Henry Wace (eds.), *A Select Library of Nicene and Post-Nicene Fathers*, vol. 11, New York, 1894, pp. 3- 17; *Glory of the Confessors*, note. 9; Jacques, Fontaine, "Hagiographie et politique, de Sulpice Sévère à Venance Fortunat", pp. 113- 140.

(99) See: *G. V M,* 3: 60; *Glory of the Confessors*, 52, 103.

(100) Gregory of Tours, *Glory of the Martyrs*, 70; *G. V M*, 2: 2.

(101) Gregory of Tours, *Glory of the Martyrs*, 53.

(102)*G. V M*, 2: 1.

(103) Gregory of Tours, *Glory of the Martyrs*, 30.

(104) Gregory of Tours, *Glory of the Confessors*, 43.

(105)*G. V M*, 2: 4; 3: 4.

(106) Gregory of Tours, *Glory of the Martyrs*, 84.

(107) Ibid, 5.

(١٠٨) كتب جريجوري أن القديس نكيتيوس Nicetius أنقذ مدينة تريير Trier: *Life of Fathers*, 17: 4 والقديس جوليان أنقذ أوفيرن Auvergne. انظر: *Histoire des Francs*, 1, 4: 5; Life of *Fathers*, 6: 6؛ في حين أنقذ القديس ريميجيوس Remigius مدينة ريمس. انظر: *Glory of Confessors,* 78. في الوقت الذي كان القديس سفيرينوس Severinus of Bordeaux يحمي مدينة بوردو. انظر: *Glory of Confessors*, 44 وللمزيد راجع: Horden, "Ritual and Public Health in the Early Medieval City", in: *Hospitals and Healing from Antiquity to the Later Middle Ages*, London & New York: Routledge, 2016, pp. 19- 24; McCormick, Michael, Gregory of Tours on Sixth-Century Plague and Other Epidemics, *Speculum* 96/1 (2021), pp. 38- 96. Cf. Faure, Eric, Did the Justinianic Plague Truly Reach Frankish Europe around 543 AD? *Vox Patrum* 37 (2021), pp. 429- 430.

(109)*G. V M*, 3: 34.

(110) Grégoire de Tours, *Histoire des Francs*, 1, préface; idem, *Glory of the Confessors*, preface. Also: Van Dam, *Ibid*, intro., p. xix.

(111) See: Lanotte, *Médecine, médecins et hospitalité dans le haut* moyen âge, p. 13.

(112) Rouche, Michel, "Miracles, maladies et psychologie de la foi à l'époque carolingienne en Francie", dans: *Le choc des cultures: romanité, germanité, chrétienté durant le haut moyen âge,* Lille: Presses universitaires du Septentrion, 2003, pp. 39- 60.

(١١٣) بعث الأسقف فولبيرت الشارتري Fulbert of Chartres (١٠٢٨م) إلى والده ببعض المراهم الطبية، ولكنّه أوصاه بالوثوق في المسيح بوصفه الشافي الأعظم، ومصدر الصحة الجيدة. انظر: *The Letters and*

Poems of Fulbert of Chartres, Trans. F. Behrends, Oxford: Clarendon Press, 1976, no. 24. Also: Lanotte, *Médecine, médecins et hospitalité*, p. 23.

(114) Gregory of Tours, *Glory of the Martyrs*, 84.

(115) See: Lanotte, *Médecine, médecins et hospitalité*, pp. 12, 22.

(116) Crisciani, "Medicine and Philosophy in the Middle Ages", p. 42.

بلغ بأحد رجال الدين أن يصف جريجوري الكبير بـ بابا وطبيب. انظر: Luwaga, Gyaviira, Memorial of Saint Gregory the Great, Pope and Doctor of the Church, *Medium: Human Stories & Ideas*, (3 Sept., 2024).

(117) See: Nutton, From Galen to Alexander, p. 6; Paxton, Frederick, "Curing Bodies- Curing Souls: Hrabanus Maurus, Medical Education, and the Clergy in Ninth-Century Francia", *Journal of the History of Medicine and Allied Sciences* 50/2, pp. 236- 237.

(118) Voir: Mollat, Michel, *Les pauvres au Moyen Âge*, 3ème ed. Bruxelles: Éditions Complexe, 2006, p. 53 ff. For more details: Brown, Peter, "The Rise and Function of the Holy Man in Late Antiquity", pp. 80- 101.

(119) Rollason, David, *Early Medieval Europe 300-1050: The Birth of Western Society*, New York; London: Routledge, 2012, p. 239. ورد في الكتاب المقدّس أن عيادة المرضى ورعايتهم، وإطعام الجائع، والإحسان إلى الغرباء والحجاج، ورعاية المساجين، وكساء العراة، ودفن الموتى، من حسن طاعة الرب. انظر: متّى، ٢٥: ٣٦– ٤٣.

(120)*A History of the Councils of the Church, from the Original Documents*, ed. Charles Hafele, Edinburgh, 1895, vol. 4, 15, c. 21.

(121) Ibid, vol. 4, 15, c. 6.

(122) See: Lanotte, *Médecine, médecins et hospitalité dans le haut moyen âge*, p. 41.

(123) See: Caesarius of Arles, *Sermons*, vol. 1, serm. 50: 1, p. 254. Also: Rousselle, Du sanctuaire au thaumaturge, pp. 1092- 1094; Le Scouëzec, *La Médecine en Gaule*, pp. 272- 280; Kitchen, Saints, Doctors, and Soothsayers, p. 21.

وقد شهد القرن السادس مواضع في إنجلترا وآسيا الصغرى ومصر، حوت معابد وأضرحة وثنية للزيارات العلاجية. انظر: Nutton, From Galen to Alexander, p. 7. See: Bull, Christian, "Prophesying the Demise of Egyptian Religion in Late Antiquity: The Perfect Discourse and Antoninus in Canopus", *Numen* 68 (2021), pp. 180- 203, esp. 184- 185.

(124)*G. V J*, 46a.

(125) Brown, "The Holy and the Grave", in: *The Cult of the Saints*, pp. 7- 8, 18; "Potentia", in: Ibid, p. 121.

(126) Nutton, From Galen to Alexander, Aspects of Medicine, p. 7.

(127) See: *G. M J*, 45; *G. V M*, 26.

(128)*G. V M*, 1: 27.

(129)*G. V M*, 2: 60.

(130) Bonnet, Max, *Le latin de grégoire de Tours*, Paris, 1890, pp. 218- 220; Riché, Pierre, *Education and Culture in the Barbarian West, Sixth through Eighth Centuries*, trans. John Contreni, Columbia: University of South Carolina Press,1976, pp. 205- 206.

(131) Grégoire de Tours, *Histoire des Francs*, II, 7: 22.

(132) See: "Medicine and Faith in Early Christianity", *Bulletin of the History of Medicine* 56/ 3 (1982), pp. 326- 350.

(133)S. Nili, Epistolarum, *P G*, ed. Migne, vol. 79, Lib. III. 35, col. 397.

(١٣٤) *On Spiritual Knowledge and Discrimination: One Hundred Texts*, ch. 53. https:// orthodox church fathers. com/ fathers/ philokalia/ diadochos- of- pontiki- on- spiritual- knowledge- and-discrimination-one-hundred-texts.html. أمثلة لمعجزات المسيح في شفاء الناس؛ شفائه للمس الشيطاني (متّى ٨: ٢٨– ٣٤؛ ١٧: ١٤– ١٨؛ مرقص ١: ٢١– ٢٨؛ ١: ٣٢– ٣٤؛ ٥: ١– ٢٠؛ ٩: ٢٠– ٢٦؛ لوقا ٤: ٣١– ٣٧؛ ٨: ٢٦– ٣٩؛ ٩: ٣٧– ٤٣؛ ١٣: ١٠– ١٧)، وشفائه للمشلولين (متّى ٨: ٥–١٣؛ ٩: ١–٨؛ مرقص ٢: ١٢؛ ٣: ١– ٥؛ لوقا ٥: ١٧– ٢٦، ٦: ٦– ١١؛ يوحنّا ٥: ١– ٦)، شفائه للبرص (متّى ٨: ١–٤؛ مرقص ١: ٤٠– ٤٥؛ لوقا ٥: ١٢– ١٨؛ ١٧: ١١– ١٩)، وشفائه لنزيف الدم (متى ٩: ٢٠– ٢٦؛ مرقص ٥: ٢٥– ٤٣؛ ٨: ٤٣– ٤٨) وشفائه للعمى (متّى ٩: ٢٧– ٣١؛ ٢٠: ٢٩– ٣٤؛ مرقص ٨: ٢٢– ٢٦؛ ١٠: ٤٦– ٥٢؛ يوحنّا ٩: ١– ١٤)، وشفائه للحمى (مرقص ١: ٢٩– ٣١؛ لوقا ٤: ٣٨– ٣٩؛ يوحنّا ٤: ٤٦– ٥٣)، وشفائه للخرس والصمم (متّى ٩: ٣٢– ٣٤؛ مرقص ٧: ٣١– ٣٧)، وشفائه للاستسقاء (١٤: ١– ٦).

(135) Anthimi, *De Observatione Ciborum Epistula ad Theudericum Regum Francorum*, ed. V. Rose, Lipsiae, 1877, pp. 8- 9. Also: Kokoszko, Maciej, "On Anthimus and his Work", *Vox Patrum* 81 (2022), pp. 68- 69

كان أنتيموس من سكان القسطنطينية، ويبدو أنّه في التآمر على حياة الإمبراطور زينون (٤٧٤– ٤٩١م)، فنُفي إلى بلاط ملك القوط الشرقيين ثيودوريك العظيم. وهناك أهداه دراسته المثيرة للجدل *De observatione ciborum* (مراعاة الأطعمة) وهي التي قدّمت وصفات مفصّلة للأكلات البيزنطية، وإن التمس بعض الباحثين لأنتيموس العذر في أنّه أراد تقديم أطعمة صحية، التي منها يمكن تجنّب الأمراض المعوية. انظر: Messing, Gordon, "Remarks on Anthimus De observatione ciborum", *Classical Philology* 37/ 2 (April 1942), pp. 150- 158; Kokoszko, Maciej, "Anthimus and His Work, or on Aromatics and Wildfowl in De observatione ciborum", *Symbolae Philologorum Posnaniensium Graecae et Latinae* 31/ 2 (2021), 59- 95.

(136) James, A Sense of Wonder, pp. 56- 57, and note 54.

(137) Grégoire de Tours, *Histoire des Francs*, trad. R. Latouche, Paris: Les Belles Lettres, 1963, I, 5: 34. See: Lanotte, *Médecine, médecins et hospitalité dans le haut* moyen *âge*, p. 17.

(138) Grégoire de Tours, *Histoire des Francs*, I, 5: 35.

والحق أن انتقاد جريجوري جاء في جوٍ عام من التشاؤم توارثه الغرب الأوربي نحو الطبيب الذي يتقاضى أجرًا، فعدّه "متهافت دنيوي"، وأهلًا للتحقير والازدراء. وهذا الشاعر أوزونيوس Ausonius (ت٣٩٥م)– رغم كون والده طبيبًا– ارتاب في مهارة الأطباء، مُؤكّدًا أنّهم كانوا يتسبّبون في وفاة المرضى. انظر: Epigrammata, in: *The Works of Ausonius*, ed. R. Green, Oxford; New York: Oxford University Press, 1991, vv. 77- 79 كما ورد في كتابات القديس أوغسطين ما يُخوّف المريض من الأطباء، وتدخلاتهم الجراحية. وكانت عبارات من قبيل: "يخشى المريض من أن يموت بين يدي الأطباء"، و"أدواتهم الجراحية التي كانت آلات رهيبة" كفيلة بصرف الناس عن الأطباء وعلاجاتهم الدنيوية. ويُؤكّد أوغسطين في المقابل، أن لمسة من الصليب تتفوّق على طب أبقراط. انظر: أوغسطين، مدينة الله، ترجمة: الأسقف يوحنا الحلو، ط٢، بيروت: دار المشرق، ٢٠٠٧، ج ٣، ٢٢: ٨. وقد أيّد أوغسطين في ذلك سيدونيوس أبوليناريس Sidonius Apollinaris (ت٤٨٧م) حين قال إن "الأطباء هم أشخاص جهلة، يقتلون مرضاهم بجهلهم": *The Letters of Sidonius,* trans. O. M. Dalton**,** Oxford, 1915, vol. 1, II, no. 12 ومن ذلك تشجّع ماركيللوس Marcellus of Bordeaux (القرن الخامس الميلادي) على تأليف كتاب عن الأدوية، يُغني الناس عن الحاجة إلى الأطباء. وراح يُؤكّد في مقدمته أنّه جمع خبراته من كتب السابقين، بهدف توفير النصيحة والعلاج للمريض والفقير والغريب، فلا يكون بحاجة إلى تدخل الطبيب. انظر: Marcellus, *De medicamentis*, praef. pp. 1- 2.

(139) Voir: Rousselle, Du sanctuaire au thaumaturge, pp. 1085- 1107.

(140) See: Amundsen, Medicine and Faith in Early Christianity, pp. 329- 332; Meade, *An Introduction to the History of General Surgery*, p. 108.

(141) See: Avitus of Vienne, *Letters and Selected Prose*, trans. Danuta Shanzer & Ian Wood, Liverpool: Liverpool University Press, 2002, no. 38, pp. 360- 361; Ennodius, Epistolae, *MGH Auct. ant. 7*, nos. 384, 437, pp. 275, 300.

(142) Procopius, *History of the Wars*, trans. H. Dewing, London & New York, 1919, vol. 3, Book. 5, 1: 38.. انظر الترجمة العربية، عفاف صبرة، القاهرة، ١٩٨٧، ١/ ٤٢– ٤٣.

(143) Nutton, From Galen to Alexander, Aspects of Medicine, p. 10.

وهناك من تتبّع النقوش التي خلّفها مئات الأطباء في العصر الروماني المتأخر، والتي تُنبئ عن ثراء فاحش، شمل أطباء محررين، أي الذين كانوا عبيدًا. انظر: Scarborough, "Romans and Physicians", p. 299

(144) Nutton, From Galen to Alexander, Aspects of Medicine, p. 10.

(145) Procopius, *History of the Wars*, IV, 22: 15- 18. Also: Nutton, From Galen to Alexander, Aspects of Medicine, p. 11.

(146) Papyrus *grecs d'époque byzantine*, ed. Jean Maspero, Le Caire: Impr. de l'Institut français d'archéologie orientale, 1913, tome 2, no. 67151.

(147) Nutton, From Galen to Alexander, Aspects of Medicine, p. 11.

(148) Ibid, p. 11, note. 99.

(149)*G. V J*, 26.

(150) See: *G. V M,* III, 60; *Glory of the Confessors*, 52, 103.

(151)*G. V M*, 2: 1.

والسكامونيا والزوفا والبيريثروم نباتات كانت تُستخدم للعلاج منذ أيام أبقراط..**(152)***G. V M,* III, 60

(153)*Glory of the Martyrs*, 83.

والحقيقة أن جريجوري في هذه الناحية كان ابن عصره؛ حيث آمن الناس بجدوى تراب أضرحة القديسين، وكان الكهان والأساقفة يوزعونه على جموع البشر. وحمله المسافرون في صناديق صغيرة، وفي تمائم وميداليات، إمّا تبركًا وطلبًا للحماية أو لنقله إلى مرضى في أماكن بعيدة. انظر: Lanotte, *Médecine, médecins et hospitalité dans le haut moyen âge*, p. 12. بل واستخدم مشاهير قبل جريجوري هذه الذخائر؛ مثل جرمانوس الأوكسيري Germanus of Auxerre (ت ٤٤٨م) الذي اعتاد حمل بقايا من رفات القديسين في كيس يتدلى على صدره، وكان يستخدمها في علاج المرضى، وشفى به فتاة عمياء. انظر: Bède, *Histoire ecclésiastique du peuple anglais*, trad. Pierre Monat et Philippe Robin, Paris, 2005, I, 18: 1. ومثل القديس أفيتوس Avitus (ت ٥٣٠م) الذي كان يحمل بعض رفات القديس جوليان في صندوق ذهبي، يستشفي بها. انظر: Vita Avidii Abbatis Lemovicini, *MGH SRM,* III, pp. 586- 587, 598. Also: Flint, Valerie, *The Rise of Magic in Early Medieval Europe*, Princeton, New Jersey: Princeton University Press, 1991, p. 304. ويُروى أن شارلمان كان يُعلّق على صدره ميدالية بلورية، تحوي بعض شعيرات من رأس العذراء، وشظية من خشبة الصليب الأصلية: Ibid

(154)*Glory of the Confessors,* 62. وهي قصة لم ترد في مصدرٍ آخر

(155) *G. V M,* 1: 11.

لم يثبت وجود ملك على غاليسيا اسمه شاراريك. انظر: Isidori, Historia de regibus Gothorum, Vandalorum et Suevorum, *MGH, Auct. anti.,* 11, pp. 300- 303 وقد زعم جريجوري أن هذه الواقعة كانت سببًا في تحول السويفي شعب غاليسيا إلى الكاثوليكية، بعد أن كانوا آريوسيين. رغم أنّ تحولهم جاء عام ٥٦١م بعناية الملك ثيودومير Theodomir (٥٦١– ٥٧٠م): Ibid, pp. 302- 303. Also: Thompson, Edward, "The Conversion of the Spanish Suevi to Catholicism", in: E. James (ed.), *Visigothic Spain: New Approaches*, Oxford: Clarendon Press; New York: Oxford University Press, 1980, pp. 77- 92 esp. 88- 89, and idem, *Romans and Barbarians: The Decline of the Western* Empire, Madison: University of Wisconsin Press, 1982, pp. 203- 204 ff مما جعل من المسألة محلًا لنقد وتمحيص المخضرمين إدوارد طومبسون Thompson، وري فان دام Van Dam اللذين خلصا إلى أن الخبر برمتّه كان من وحي خيال جريجوري التوري، وليس من التاريخ أو الحقيقة في شيء. انظر: Thompson, The Conversion of the Spanish Suevi to Catholicism, pp. 88- 89; idem, *Romans and Barbarian*, pp. 203- 204; Van Dam, *G. V M,* I, 11, note. 27.

(156)*G. V M*, 1: 16.

(157) See: Macmullen, *Paganism in the Roman Empire*, New Haven and London: Yale University Press, 1981, pp. 95- 96 ff; James, A Sense of Wonder: Gregory of Tours, pp. 52, 58.

(158) Ibid, p. 60. Cf. Flint, The Early Medieval Medicus, p. 137.

(159) Brown, "Praesentia", in: *The Cult of the Saints*, p. 100.

(160) Keely, Avril, "Arians and Jews in the Histories of Gregory of Tours", *Journal of Medieval History* 23: 2 (1997), pp. 103- 115 esp. 105; Choda, Kamil, "The Religious Other in the Histories of Gregory of Tours", *Classica Cracoviensia* 17/ 17 (2014), pp. 5- 19 esp. 10- 11. See: Gregory of Tours, *Glory of the Confessors*, 13, 14; *Glory of the Martyrs*, 80, 81.

(161) See: Rotman, Tamar, *Hagiography, Historiography, and Identity in Sixth Century Gaul: Rethinking Gregory of Tours*, Amsterdam: Amsterdam University Press, 2022, pp. 132- 133 ff.

(162)*Histoire des Francs*, 1, 5: 6

ولا يستبعد إدوارد جيمس أنّ جريجوري قصد إزالة المياه البيضاء، مؤكّدًا أن هذه الجراحة قد مورست في غالة الميروفنجية، ومستدلًا أن أدوات جراحية قد عُثر عليها في قاع نهر السون Saône، كانت تستخدم لذلك. انظر: James, A Sense of Wonder: Gregory of Tours, p. 55 وهو ما يُخالف ما ذهب إليه تماس نوتاري من أن الجراحة كانت عملٌ حرفي، بعيدة عن مهنة الطب: Physicians, Patients and Treatment, p. 67

(163)*Histoire des Francs*, 1, 5: 6

انظر: رسالة بولس إلى أهل كورنثوس (٢) ٦: ١٤– ١٨.

(164) Amundsen, Medicine and Faith in Early Christianity, pp. 334- 342. Cf. Bottomley, Frank, *Attitudes to the Body in Western Christendom*, London: Lepus Books, 1979, pp. 59- 95.

يقول أمبروز الميلاني Ambrose (ت ٣٩٧م) بدلًا من أن نلجأ إلى الأطباء لعلاج الأمراض، وأن نأمل في الحصول على دواء من النباتات، يجب أن نقصد إلى الله الذي يشفي أرواحنا قبل أجسادنا: Ambrose, *Hexameron, Paradise, and Cain and Abel*, trans. John Savage, New York: Fathers of the Church, 1961, On Cain, 1: 40 ويقول القديس أوغسطين Augustine (٤٣٠م) إن الله يسمح للمسيحيين بتحمل الأمراض: *Letters of St. Augustine*, tr. Roland Teske, New York: New City Press, 2001, vol. 1, no. 38. 1 ويقول جيروم Jerome (٤٢٠م): "أنا أشكر الله في صحتي وفي مرضي. ولن تكون الروح قوية إلا في جسد ضعيف". انظر: خطابات القديس جيروم، تعريب القس يوحنا محروس، ٢/ ٣٩: ٢. ويعظ حنا ذهبي الفم John Chrysostom (ت ٤٠٧م): "يجب أن يتحمّل المسيحيون الفقر وآلام المرض، لأن الله وحده يعلم ما يصلح لنا": *Homily 33 on Hebrews* 8. https:// www. biblestudytools.com/ history/ early- church-fathers/ nicene/vol-14-saint-john-chrysostom/ homilies-on-hebrews/ homily-xxxiii.html وذكر جريجوري النازينزي (ت ٣٩٥م) أن الصبر على المرض يُقوّي شخصية الإنسان. وأن المعاناة تسمو به وجدانيًا وأخلاقيًا. انظر: Gregory Nazianzen, *Oration* 18: 28. https: //www. newadvent. org/fathers/ 310218.htm.

(165) See: Horden, "The Death of Ascetics: Sickness and Monasticism in the Early Byzantine Middle East", pp. 41- 52; idem, "Saints and Doctors in the Early Byzantine Empire: The Case of Theodore of Sykeon", in: Ibid, pp. 1- 13; Van Dam, *Glory of the Confessors*, intro., pp. xvii- xviii.

(166) Lanotte, *Médecine, médecins et hospitalité dans le haut moyen âge*, p. 24.

(167) See: Hailstone, *Fear in Sixth-Century Merovingian Gaul*, pp. 200- 253. For more details: Smith, Gregory, How Thin is a Demon? *Journal of Early Christian Studies* 16: 4 (2008), pp. 479- 512; Wiebe, Gregory, *Fallen Angels in the Theology of St Augustine,* Oxford: Oxford University Press, 2021, pp. 147- 177.

(168) Marcellus, *De medicamentis liber*, ed. G. Helmreich, Leipzig, 1889. Voir: Rousselle, Du sanctuaire au thaumaturge, p. 1093.

(169) Le Scouëzec, *La Médecine en Gaule*, pp. 227- 230

ورد عن هذا الطبيب أنّه كان دائمًا يرى الشياطين، وكثيرًا ما كان يتلو الكتاب المقدس، ويستنجد بالقديسين. انظر: Firminus & Viventius, Vita S. Caesarii, *P L*, ed. Migne, vol. 67, 29.

(١٧٠) انظر: سورنيا، جان شارل، تاريخ الطب، *عالم المعرفة*، عدد ٢٨١، الكويت، ٢٠٠٢، ص ٧٠.

(171) Nutton, From Galen to Alexander, Aspects of Medicine, p. 8.

(172)*G. V M*, 2: 18. قسّم جالينوس الصرع إلى ثلاثة أنواع: نوع يُصيب المخ، وثاني يُصيب المعدة، وثالث يُصيب الأطراف. ويفترض ألكسندر الترالي إجراء اختبار للمريض للتأكد من التشخيص، ثم يقترح لعلاج الصرع نظام تغذية سليم، مع شرب مرق نبات الزوفا، وكذلك نبات الخربق، ثم بعض العقاقير الطبية. وربما يتطور الأمر إلى مراقبة سريرية حسب الحالة، مع ترشيح وصفات شعبية تم اختبارها سابقًا: Bouras-Vallianatos, Petros, "Clinical Experience in Late Antiquity: Alexander of Tralles and the Therapy of Epilepsy", *Medical History* 58/ 3 (2014), pp.343- 352.

(١٧٣) مثل: ترتليان Tertullian (ت ٢٤٠م)، وكبريانوس Cyprianus (ت ٢٥٨م)، وماركوس مينوكيوس فليكس Marcus Minucius Felix (ت ٣٧٤م)، وأوغسطين St. Augustin (ت ٤٣٠م). انظر: Nótári, Physicians, Patients and Treatment, p. 69; Horden, "Responses to Possession and Insanity in the Earlier Byzantine World", in: *Hospitals and Healing from Antiquity to the Later Middle Ages*, pp. 177- 194; Brown, " Potentia", in: *The Cult of the Saints*, pp. 109- 110.

(174) Saints, Doctors, and Soothsayers, p. 17.

(175) Wootton, David, *Bad Medicine: Doctors Doing Harm Since Hippocrates*, Oxford University Press, 2006; Horden, What's Wrong with Early Medieval Medicine? p.20.

(176)*Médecine, médecins et hospitalité dans le haut Moyen Age*, p. 15.

(177) Rousselle, Aline, "Du sanctuaire au thaumaturge: la guérison en Gaule au IVe siècle", *Annales. Economies, sociétés, civilisations*, ann. 31: 6 (1976), p. 1095.

(178) Horden, "Non-natural Environment: Medicine Without Doctors and the Medieval European Hospital". in: *Hospitals and Healing from Antiquity to the Later Middle Ages*, pp. 133- 145 esp. 139- 142.

(١٧٩) لا شك أن الفكر الشرقي اليوناني امتاز في هذه الناحية عن نظيره اللاتيني في تقديم تفسير عقلاني للأدواء واقتراح أدوية مناسبة. انظر: Horden, "The Death of Ascetics: Sickness and Monasticism in the Early Byzantine Middle East", in: *Hospitals and Healing from Antiquity to the*

Later Middle Ages, pp. 41- 44 وهذا أناستاسيوس السيناوي Anastasios of Sinai (ت حوالي ٧٠٠م) نوّه إلى فائدة الطب التجريبي في علاج الناس رافضًا التشافي بالأضرحة. وأكّد أن المناخ وسوء التغذية والإفراط في شرب الخمر هي أسباب كافية لانتشار الأمراض بين الناس. وبالإجمال، رفض أناستاسيوس الأفكار السلبية عن الطب، ومضى يُؤكّد أن هذا العلم منحة من الله. وقد طرح تساؤلًا توكيديًّا: أليس الله الذي سمح للبشر أن يتعلموا حكمة الطب؟ وهو الله خالق النباتات التي تنتج العلاج؟ انظر: *Questions and Answers*, trans. Joseph Munitiz, Turnhout: Brepols, 2011, Qu. 28: 15

ودلّل أناستاسيوس على حجته بحكاية وقعت في جزيرة قبرص، حيث استنكر أحد الأطباء ذهاب الناس إلى ضريح القديس إبيفانيوس Epiphanios (ت ٤٠٣م) للاستشفاء، وعمد إلى علاجهم ببعض وسائل الطب التجريبي؛ فرسم لهم نظامًا غذائيًا جيدًا، وعكف على تنظيف أنوفهم، ثم فصد بعضهم، ممّا أسفر عن تعافي كثيرين. انظر: Ibid, Qu. 27. Ans. 4

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر الأجنبية:

- Agathias, *Histoires: Guerres et malheurs du temps sous Justinien*, trad. P. Maraval, Paris: les Belles Lettres, 2007.
- Ambrose, *Hexameron, Paradise, and Cain and Abel*, trans. John Savage, New York: Fathers of the Church, 1961.
- Anastasios of Sinai, *Questions and Answers*, trans. Joseph Munitiz, Turnhout: Brepols, 2011.
- Anthimi, *De Observatione Ciborum Epistula ad Theudericum Regum Francorum*, ed. V. Rose, Lipsiae, 1877.
- St. Augustine, *Letters*, tr. Roland Teske, New York: New City Press, 2001.
- Ausonius, Epigrammata, in: *The Works of Ausonius*, ed. R. Green, Oxford; New York: Oxford University Press, 1991.
- Avitus of Vienne, *Letters and Selected Prose*, trans. Danuta Shanzer & Ian Wood, Liverpool: Liverpool University Press, 2002.
- Bède, *Histoire ecclésiastique du peuple anglais*, trad. Pierre Monat et Philippe Robin, Paris, 2005.
- Caesarius of Arles, *Sermons*, trans. Marie M. Muller, New York: Fathers of the Church, inc., 1956, vol. 1.
- Cassiodorus, *The letters*, trans. Thomas Hodgkin, London, 1886.
- Diadochos of Photiki, *On Spiritual Knowledge and Discrimination: One Hundred Texts*, ch. 53. https:// orthodox church fathers. com/ fathers/ philokalia/ diadochos-of- pontiki- on-spiritual- knowledge- and-discrimination-one-hundred-texts.html.
- The Enactments of the Justinian Code, in: *The Civil Law*, ed. S. Scott, Cincinnati, 1932, vol. 3. https:// droitromain. univ- grenoble alpes.fr /Anglica/ CJ12_Scott.gr.html#13.
- Ennodius, Epistolae, *MGH Auct. ant. 7*.
- Eunapius, *The Lives of the Sophists*, London; New York, 1922.
- Firminus & Viventius, Vita S. Caesarii, *P L*, ed. Migne, vol. 67, 29. https: // la.wikisource.org/ wiki/ Vita_S._Caesarii.
- Fulbert of Chartres, *The Letters and Poems*, trans. F. Behrends, Oxford: Clarendon Press, 1976.
- Gregory of Tours, *Histoire des Francs*, trad. R. Latouche, Paris, 1963- 1965, 2 vols.
- -----, The Miracles of the Bishop St. Martin (G. V M), in: *Saints and Their Miracles in Late Antique Gaul*, trans. & ed. Ray Van Dam, Princeton University Press, 1993.
- -----, The Suffering and Miracles of the Martyr St. Julian (G. M J), in: *Ibid.*
- -----, *Glory of the Martyrs*, trans. Ray Van Dam, 2nd ed. Liverpool: Liverpool University Press, 2004.
- -----, *Glory of the Confessors*, trans. Ray Van Dam, 2nd ed. Liverpool: Liverpool University Press, 2004.

- -----, *Life of the Fathers*, trans. Edward James, 2nd. Ed. Liverpool: Liverpool University Press, 1991.
- -----, *The Book of the Miracles of the Blessed Andrew the Apostle*, trans. Randy Richardson, Leuven, Paris, Bristol: Peeters, 2022.
- Gregory Nazianzen, *Oration* 18: 28. https: //www. newadvent. org/fathers/ 310218.htm.
- Hilduin of Saint-Denis, Epistolae variorum inde a morte Caroli magni usque ad divisionem imperii collectae, ed. E. Dümmler, *MGH. Epistilarum* 5.
- *A History of the Councils of the Church, from the Original Documents*, ed. Charles Hafele, Edinburgh, 1895.
- *Les inscriptions chrétiennes de la Gaule antérieure au VIIe siècle,* ed. Edmond Le Blant, Paris, 1856.
- Isidori, Historia de regibus Gothorum, Vandalorum et Suevorum, *MGH, Auct. anti.,* vol. 11.
- John Chrysostom, *Homily 33 on Hebrews* 8. https:// www. biblestudytools.com/ history/ early-church-fathers/ nicene/vol-14-saint-john-chrysostom/ homilies-on-hebrews/ homily-xxxiii.html.
- Liber Contra Vigilantium, *P L*, ed. Migne, vol. 23.
- Marcellus, *De medicamentis liber*, ed. G. Helmreich, Leipzig, 1889.
- Nicetius of Trier, Epistola II ad Chlodosuinda, reginam longobardorum, in: *sacrorum conciliorum nova et amplissima collectio*, ed. Mansi, vol. 9.
- S. Nili, Epistolarum, *P G*, ed. Migne, vol. 79.
- Papyrus *grecs d'époque byzantine*, ed. Jean Maspero, Le Caire: Impr. de l'Institut français d'archéologie orientale, 1913.
- Procopius, *History of the Wars*, trans. H. Dewing, London & New York, 1919.
- De S. Theodoro martyre, *P G*, ed. Migne, vol. 46.
- Sidonius, *The Letters*, trans. O. M. Dalton**,** Oxford, 1915.
- Sulpicius Severus' Life of Martin [Vita Martini] and Other Writings, trans. Alexander Roberts, in: Philip Schaff and Henry Wace (eds.), *A Select Library of Nicene and Post-Nicene Fathers*, vol. 11, New York, 1894.
- The *Theodosian Code and Novels: and the Sirmondian Constitutions* (*CTh*), trans. C. Phar et. al., Princeton University Press, 1952.
- De Vita St. Radegundis, *MGH SS rer. Merov*. Vol. 2.
- Vita Avidii Abbatis Lemovicini, *MGH SRM,* III.

ثانياً: المصادر المُعرّبة:

- أوغسطين، مدينة الله، ترجمة: الأسقف يوحنا الحلو، ط٢، بيروت: دار المشرق، ٢٠٠٧.
- جيروم، خطابات، تعريب القس يوحنا محروس، الإسكندرية: مدرسة الإسكندرية، ٢٠١٩.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- Amundsen, Darell & Ferngren, Gary, "The Forensic Role of Physicians in Roman Law", *Bulletin of the History of Medicine* 53/1 (1979), pp. 39- 56.
- -----, "Medicine and Faith in Early Christianity", *Bulletin of the History of Medicine* 56/ 3 (1982), pp. 326- 350.
- Andorlini, Isabella, "Teaching Medicine in Late Antiquity: Methods, Texts and Contexts", in: P. Lendinara, L. Lazzari and M. D'Aronco (eds.), *Form and Content of Instruction in Anglo-Saxon England in the Light of Contemporary Manuscript Evidence*, Turnhout: Brepols, 2007.
- Baader, Gerhard, "Early Medieval Latin Adaptations of Byzantine Medicine in Western Europe", *Dumbarton Oaks Papers* 38 (1984), pp. 251- 259.
- Bonnet, Max, *Le latin de grégoire de Tours*, Paris, 1890.
- Bottomley, Frank, *Attitudes to the Body in Western Christendom*, London: Lepus Books, 1979.
- Bouras-Vallianatos, Petros, "Clinical Experience in Late Antiquity: Alexander of Tralles and the Therapy of Epilepsy", *Medical History* 58/3 (2014), pp. 343- 352.
- Brown, Peter, "The Rise and Function of the Holy Man in Late Antiquity", *The Journal of Roman Studies* 61 (1971), pp. 80- 101.
- -----, "The Holy and the Grave", in: *The Cult of the Saints: its Rise and Function in Latin Christianity*, Chicago: University of Chicago Press, 1981.
- -----, *The Rise of Western Christendom Triumph and Diversity, 200- 1000*, 2nd ed. Oxford; Malden: Blackwell Publishing, 2003.
- Bull, Christian, "Prophesying the Demise of Egyptian Religion in Late Antiquity: The Perfect Discourse and Antoninus in Canopus", *Numen* 68 (2021), pp. 180- 203.
- Choda, Kamil, "The Religious Other in the Histories of Gregory of Tours", *Classica Cracoviensia* 17/ 17 (2014), pp. 5- 19.
- Contreni, John, "Gregorius Turonensis", *Catalogus Translationum et Commentariorum* 9 (2011), pp. 55- 71.
- Corazza, Francesca, *The Antinoopolis Medical Papyri: A Case Study in Late Antique Medicine*, PHD diss., Humboldt University in Berlin, 2016.
- Crisciani, Chiara, "Medicine and Philosophy in the Middle Ages. Sisters, Companions, Rivals", in: Mariacarla Bondio (ed.), *Medical Ethics: Premodern Negotiations between Medicine and Philosophy*, Stuttgart: Franz Steiner Verlag, 2014.
- Geary, Patrick, *Living with the Dead in the Middle Ages,* Ithaca and London: Cornell University Press, 1994.
- Le Goff, Jacques, "Ecclesiastical Culture and Folklore in the Middle Ages: Saint Marcellus of Paris and the Dragon", in: *Time, Work, and Culture in the Middle Ages*, trans. A. Goldhammer, The University of Chicago Press, 1980, pp. 159- 188.

- Goffart, Walter, "Foreigners in the Histories of Gregory of Tours", *Florilegium* 4/1 (1982), pp. 80- 99.
- Gowling, Eric, *Aetius of Amida. Libri Medicinales Book 1: A*, PhD diss., University of Glasgow, 2014.
- Hailstone, Catherine-Rose, *Fear in Sixth-Century Merovingian Gaul: The Miracles of St. Martin and Life of the Fathers of Gregory of Tours*, MA. diss., University of York, 2015.
- -----, *Fear in the Mind and Works of Gregory of Tours*, PhD diss., University of York, 2020.
- Heinzelmann, Martin, *Gregory of Tours: History and Society in the sixth Century*, Cambridge; New York: Cambridge University Press, 2001.
- Horden, Peregrine, "What's Wrong with Early Medieval Medicine?" *Social History of Medicine* 24/1 (2011), pp. 5- 25.
- -----, "How Medicalised were Byzantine Hospitals?", in: *Hospitals and Healing from Antiquity to the Later Middle Ages*, London & New York: Routledge, 2016.
- -----, "Ritual and Public Health in the Early Medieval City", 17- 40. in: *Ibid.*
- -----, "Saints and Doctors in the Early Byzantine Empire: The Case of Theodore of Sykeon". in: *Ibid*, pp. 1- 13.
- -----, "Responses to Possession and Insanity in the Earlier Byzantine World", in: *Ibid*, pp. 177- 194.
- -----, "Non-natural Environment: Medicine Without Doctors and the Medieval European Hospital", in: *Ibid*, pp. 133- 145.
- Israelowich, Ido, "Physicians as Figures of Authority in the Roman Courts and the Attitude towards Mental Diseases in the Roman Courts during the High Empire", *História* 63/ 4 (2014), pp. 445- 462.
- James, Edward, "A Sense of Wonder: Gregory of Tours, Medicine, and Science", in: Marc Meyer (ed.), *The Culture of Christendom: Essays in Medieval History in Commemoration of Denis L.T. Bethell*, London: The Hambledon Press, 1993, pp. 45- 60.
- Jacques, Fontaine, "Hagiographie et politique, de Sulpice Sévère à Venance Fortunat", R*evue d' histoire de l' Église de France* 62/168 (1976), p. 113- 140.
- Keely, Avril, "Arians and Jews in the Histories of Gregory of Tours", *Journal of Medieval History* 23/ 2 (1997), pp. 103- 115.
- Kitchen, John, "Saints, Doctors, and Soothsayers: The Dynamics of Healing in Gregory of Tours's De Virtutibus Sancti Martini", *Florilegium* 12 (1993), pp. 15- 32.
- Kokoszko, Maciej, "Anthimus and His Work, or on Aromatics and Wildfowl in De observatione ciborum", *Symbolae Philologorum Posnaniensium Graecae et Latinae* 31/ 2 (2021), pp. 59- 95. repr. "On Anthimus and his Work", *Vox Patrum* 81 (2022), pp. 65- 90.
- Kurth, Godefroid, *Etudes franques*, Paris; Bruxelles, 1919.

- Lanotte, Patrick, *Médecine, médecins et hospitalité dans le haut Moyen Age: L'exemple de Reims. L'origine de l'Hôtel-Dieu de Reims au VIe siècle: mythe ou réalité?* PHD diss., Université de Reims, 1998.
- Le Scouëzec, Gwenc'hlan, *La Médecine en Gaule*, Genève: Arbre d'Or, 2001.
- Luwaga, Gyaviira, Memorial of Saint Gregory the Great, Pope and Doctor of the Church, *Medium: Human Stories & Ideas*, (3 Sept. 2024). https:// medium.com/@mydailyreflection/memorial-of-saint-gregory-the-great pope-and-doctor-of-the-church-8678cbf27cfa.
- Maltby, Robert, "Neologisms in the Latin of Gregory of Tours", *Archivum Latinitatis Medii Aevi* 63 (2005), pp. 61- 69.
- Markatos, Konstantinos et al., "Paul of Aegina (625–690): His Work and His Contribution to Neurologic Surgery: Trephinations and Laminectomies in the Dark Ages", *World Neurosurgery* 109 (2018), pp. 338- 341.
- McCormick, Michael, Gregory of Tours on Sixth-Century Plague and Other Epidemics, *Speculum* 96/ 1 (2021), pp. 38- 96.
- Faure, Eric, Did the Justinianic Plague Truly Reach Frankish Europe around 543 AD? *Vox Patrum* 37 (2021), pp. 427- 461.
- Flint, Valerie, *The Rise of Magic in Early Medieval Europe*, Princeton, New Jersey: Princeton University Press, 1991.
- Macmullen, Ramsay, *Paganism in the Roman Empire*, New Haven and London: Yale University Press, 1981.
- Mercier, Jean-François, "Du manuscrit à la lancette: évolution de la médecine monastique au Moyen Âge dans l'Occident- progrès de la chirurgie entre le VIe et la fin du XVe siècle", *e-mémoires de l'Académie Nationale de Chirurgie* 11/2, (2012), pp. 78- 87.
- Messing, Gordon, "Remarks on Anthimus De observatione ciborum", *Classical Philology* 37/ 2 (April 1942), pp. 150- 158.
- Mollat, Michel, *Les pauvres au Moyen Âge*, 3ème ed. Bruxelles: Éditions Complexe, 2006.
- Newbold, Ron, "Secondary Responses to Fear and Grief in Gregory of Tours", *Libri Historiarum,' Studia Humaniora Tartuensia* 7 (2006), pp. 1- 23.
- Noble, Thomas, "Gregory of Tours and the Roman Church", in: Kathleen Mitchell and Ian Wood (eds.), *The World of Gregory of Tours*, Leiden, Boston and Koln: Brill, 2002.
- Nótári, Tamás, "Physicians, Patients and Treatments in Early Medieval German (especially Bavarian) Legislation", *Fundamina - A Journal of Legal History* 23/1 (2017), pp. 61- 88.
- Nutton, Vivian, "Archiatri and the Medical Profession in Antiquity", *Papers of the British School at Rome* 45 (1977), pp. 191- 226.

- -----, "Continuity or Rediscovery? The City Physician in Classical Antiquity and Mediaeval Italy", in: A. Russell (ed.), *The Town and State Physician in Europe from the Middle Ages to the Enlightenment*, Wolfenbütteler, 1981, pp. 9- 46.
- -----, "From Galen to Alexander, Aspects of Medicine and Medical Practice in Late Antiquity", *Dumbarton Oaks Papers* 38 (1984), pp. 1- 14.
- -----, *Ancient Medicine*, 3ed. London & New York: Routledge, 2024.
- Oswalt, John, *The Bible among the Myths: Unique Revelation or Just Ancient Literature?* Michigan: Zondervan, 2009.
- Paxton, Frederick, "Curing Bodies-Curing Souls: Hrabanus Maurus, Medical Education, and the Clergy in Ninth-Century Francia", *Journal of the History of Medicine and Allied Sciences* 50/2 (1995), pp. 230- 252.
- Reimitz, Helmut, "The Early Medieval Editions of Gregory of Tours' Histories", in: Alexander Murray (ed.), *A Companion to Gregory of Tours*, Leiden; Boston: Brill, 2016.
- Riché, Pierre, *Education and Culture in the Barbarian West, Sixth through Eighth Centuries*, trans. John Contreni, Columbia: University of South Carolina Press,1976.
- Rollason, David, *Early Medieval Europe 300-1050: The Birth of Western Society*, New York; London: Routledge, 2012.
- Rotman, Tamar, *Hagiography, Historiography, and Identity in Sixth Century Gaul: Rethinking Gregory of Tours*, Amsterdam University Press, 2022.
- Rouche, Michel, "Miracles, maladies et psychologie de la foi à l'époque carolingienne en Francie", dans: *Le choc des cultures: Romanité, Germanité, Chrétienté durant le Haut Moyen Age*, Lille: Presses universitaires du Septentrion, 2003, pp. 39- 60.
- Rousselle, Aline, "Du sanctuaire au thaumaturge: la guérison en Gaule au IVe siècle", *Annales. Economies, sociétés, civilisations*, 31/ 6 (1976), 1085- 1107.
- Scarborough, John, "Romans and Physicians", *The Classical Journal* 65: 7 (Apr., 1970), pp. 296- 306.
- -----, "Theodora, Aetius of Amida, and Procopius: Some Possible Connections", *Greek, Roman and Byzantine studies* 53/ 4 (2013), pp. 742- 762
- Smith, Adrian, *The 'Prehistory' of Gregory of Tours: An Analysis of Books I- IV of Gregory's Histories*, MA. diss., University of York (September 2010).
- Smith, Julia, *Europe after Rome: A New Cultural History 500- 1000*, Oxford & New York: Oxford University Press, 2005.
- Smith, Gregory, How Thin is a Demon? *Journal of Early Christian Studies* 16/ 4 (2008), pp. 479- 512.
- Temkin, Owsei, *Hippocrates in a World of Pagans and Christians*, Baltimore and London: Johns Hopkins University Press, 1991.

- Thompson, Edward, "The Conversion of the Spanish Suevi to Catholicism", in: E. James (ed.), *Visigothic Spain: New Approaches*, Oxford: Clarendon Press; New York: Oxford University Press, 1980, pp. 77- 92.
- -----, *Romans and Barbarians: The Decline of the Western* Empire, Madison: University of Wisconsin Press, 1982.
- Wallace-Hadrill, J. M, "The Work of Gregory of Tours in the Light of Modern Research", *Transactions of the Royal Historical Society* 1 (1951), pp. 25- 45.
- Wiebe, Gregory, *Fallen Angels in the Theology of St Augustine,* Oxford: Oxford University Press, 2021, pp. 147- 177.
- Wootton, David, *Bad Medicine: Doctors Doing Harm Since Hippocrates*, Oxford: Oxford University Press, 2006.

رابعاً: المراجع العربية:

- الجنزوري، علية عبد السميع، جريجورى التورى وقيام دولة الفرنجة، القاهرة، د. ت.
- أبو سعدة، الأمين، "التوظيف السياسي لرفات القديسين ومتعلقاتهم المقدسة في أوربا العصور الوسطى"، *مجلة كلية الآداب – جامعة المنصورة* ٣٥ (٢٠٠٤)، ٤٠٣– ٤٧٦.
- رمضان، عبد العزيز، "البيزنطيون بين علاج الأطباء ومعجزات القديسين: دراسة في ضوء هجيوجرافيا العصر البيزنطي الباكر"، *حولية التاريخ الإسلامي والوسيط* ٥ (٢٠٠٦)، ص ٣٣- ٩٨.
- سورنيا، جان شارل، تاريخ الطب، ترجمة: إبراهيم البجلاتي، *عالم المعرفة*، عدد ٢٨١، الكويت، ٢٠٠٢.
- عمران، محمود سعيد، "المؤرخ جريجوري التوري وتأريخه للملك كلوفيس من خلال كتاب تاريخ الفرنجة"، بيروت: جامعة بيروت، ١٩٨٠.
- محمد، محمد دسوقي، "المُخنّثون في مجتمع الغرب الأوربي زمن العصور الوسطى"، *مجلة الدراسات التاريخية والحضارية* ٢/١٢ (٢٠٢٢)، ص ٣٨– ٧٠.